مخطوطات العاشق الأول

مراد ماهر

عنوان الكتاب: مخطوطات العاشق الأول

المؤلف: مراد ماهر

المراجعة اللغوية: عبد الهادي عباس

الإخراج الداخلي: رشا عبدالله

تصميم الغلاف: د. أحمد جمال عيد

رقم الإيداع: ٢٩٤٩٠/ ٢٠١٧

ردمك : 978-977-6549-46-3

الطبعة الأولى: ديسمبر 2017

المدير العام : هاله البشبيشي

المدير التنفيذي : شريف الليثي

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya

@Dar_Toya

Dar.toya

(+2) 01066444204 - (+2) 01000706014

٣٥ شارع النصر – المعادي – القاهرة – مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

مخطوطات العاشق الأول

مراد ماهر

دار تويا للنشر والتوزيع

إهداء

إلى العاشق الأول ..

إلى العاشقة الأولى

إلى العاشق الأخير

إلى العاشقة الأخيرة

أنتم أركان هذا الكون،

ذوو أياديكم واصلات ما بين الأرض والسماء

تصنع الفارق، وتؤجل الفناء ..

إليكم أهديكم تأريخًا لنصنعها لكم

. . . .

وما دام الفناء قادم لا محالة،

فليكن عشقًا .... أو لنصمت

مراد

الرسالة الأولى

هي...

جزءٌ أصيلٌ من حروفِ أبجديتي.

حـرفٌ يُزاحـم مـا تعلمتُـه مـن حـروفٍ ليبقـى هنـاك بعيـدًا عـن بروتوكـولاتِ الصياغـةِ والتشـكلِ والانغمـاسِ في قـارورةِ المعـاني.

لكنـني دائمًـا أنتظـرُ يومًـا لا بـد لـه مـن المجـيءِ أقـوى فيـه عـلى ابتـكارِ أبجديـةٍ جديـدةٍ تحملُ مـن البَراحِ مـا يسـعُها ويفيـضُ.

الرسالة الأولى

السَّلامُ على البدايةِ البِكرِ التي لا بدايةَ قبلها ولا نهايةَ بعدها.

السَّلامُ على مَن اكتشفَ الحُبَّ فور اختراعِ الحياةِ، واقتفى أثرَه وتتبَّع عبقريته.

السَّلامُ على كلِّ مَن تكاتفَ وتعاونَ في معملِ القلوبِ الأول لتختمرَ السبيكةُ لأول عشقٍ، (العين/ الأذن/ اللسان/ الأنف/ الطبيعةُ المُفتخِرةُ بغموضِها أمام جهلِ المُحتل الجديد/ السماوات التي اصطفَّت واحدةً بجوارِ أخرى، مِن وراء أخرى، كجمهورِ مسرحٍ إغريقي مهيبٍ، ليشهدوا لحظة انتقال البشريةِ الوليدةِ من الحيوانية المُفكِّرةِ إلى الإنسانيةِ المُكرَّمةِ بالحُب.

السَّلامُ على العاشقِ الأول، والمعشوقةِ الأولى، وعلى صراعِ العشقِ الأول، ذلك الذي دام وتطوَّر واستطال لآلاف السنين.

السَّلامُ على الإنسانيةِ التي أمسكتْ بتلابيبِ العشقِ كل هذه الحِقبِ ليتطورَ معها وتختلفَ هيئتُه باختلافِ وتطوُّر أو تدهور فكر البشر.

وإني يا حوَّاء قلبي أتفكرُ الآن، كيف كان العشقُ من منبتهِ، وكيف كانت أول خفقةِ قلبٍ، وكيف يكونُ الحب حُبًّا مع انعدامِ فعلِ الانتقاء أو الاختيارِ من مُتعدد.

هل يكتملُ نِصابُ الحبِّ مع فعلِ الاضطرارِ والحتميةِ؟ هل ينضج عشقًا لا يخشى أطرافُه احتمالَ الفقدِ أو تحوُّل قلبِ المحبوب إلى غيره؟ وأين كانت الغَيْرة؟ وأين كانت الرسائلُ المُنمقة؟ والإشاراتُ المُوحية؟ ولغةُ العيون؟ وهمسُ دقاتِ القلوب؟

ربما كل هذا وذاك تطوُّرٌ طبيعي لتطوُّر التعمق البشري في تفاصيلِ الجسدِ والطبيعةِ والفلسفةِ.

أُدركُ يا حَوَّائِي بأن الكلماتِ ليست منطقيةً، وربما ليست تصطفُّ في ثباتٍ وتسلسلٍ عقلاني مُقنعٍ، لكن دعيني أتنكرُ في زيِّ الآدم الأول، وأقتنعُ أولًا ثم أُقنعكِ بأني الرجلُ البشري الأول، ربما ساعتها تقتنعين بأنكِ لي الأنثى الأولى، والطبيعة الأولى.

دعيني أكتبُ أولُ رسالةٍ في تاريخِ البشر، من أولِ بشري في تاريخهم، لأول بشريةٍ في تاريخهن.

أبدؤها بالتعجب، أمزجها بالترقب، وأُنهيها بالانغماس التام في مستقبل العشقِ وتاريخه المُعتق.

*****

مِن الآدمي الآدم إلى حَوَّاء الحوَّاء.....

وإني هبطتُ على هذا الكوكبِ وحيدًا، وطُفت بنظري الوليدِ أرجاءَ الدنيا، وعرفتُ لتوي كم كان العقابُ قاسيًا، وكم أن الأرضَ تأكل التاريخَ ولا تصنعُ المستقبل.

بكيتُ كثيرًا، وندبتُ حظي كثيرًا كثيرًا، وتعملقتِ الخطيئةُ أمامي، حتى ناجيتُ الرب بأن يُخفف عني العذابَ بالموت، ويُذهب عني الغضبَ حتى ولو كان العفو محفوفًا بالسخط.

وارتأيتُ الظُّلمة تنقشعُ شيئًا فشيئًا، وقرصًا أصفر اللون يُضيء الكون بضياءٍ شبيهٍ بضياء الجنةِ، وروحًا تمشي على أربعٍ تقتربُ مني بصوتٍ كالأنين الذي لتوِّي أصدرته حين الندم.

وشعرتُ بأحشائي لأول مرةٍ تبكي من حاجتها واحتياجها، وشعرتُ بالوحشةِ تجاه العطفِ الإلهي الأعظم، وحميمية النقاء في رحاب النعيم والأبدية.

وإني تذكرتكِ حينها، كيف تجرؤين على الإيحاء لي بمعصيةِ الكبير الأعظم؟ كيف لم تمنعيني إذ انصعتُ لرأيكِ اللاسديد؟ كيف تهربين من العقاب وأبقى ها هنا وحيدًا؟

أما زلتِ هناك مُنعَّمة؟ هل سامحكِ الرب؟ هل تتذكرينني أو تذكرينني هناك؟ وهل تتضرعين لعودتي؟

غاضبٌ أنا منك، وأشتاقُ إليكِ، أكرهك قدر كراهيتي لمحل العقاب الإلهي.

أفكارٌ تتداخلُ وتتعاقبُ وتتعانقُ وتتعارضُ، مشاعرٌ تتوافقُ وتتشاجرُ في الثانية مائة مرة، أحتاجك ورغم كل ما حدث لا أريد لكِ نفس العاقبة من العقاب.

وتعلمتُ من غير إدراكٍ أن الاشتراك في الذنب يقتضي تعميم العقوبة؛ لذا فإما أن تأتيني، وإما أن أصعد إليكِ.

وإني وجدتكِ.... تعلمتُ أول ما تعلمتُ كيف يكون السعي لأجل البحثِ، فقط لألقاكِ، أو يهديني ربي لشعاعٍ نوراني مُقدَّسٍ ألمسه ليجذبني حيث تمكثين.

وإني وجدتكِ، على قمة جبلٍ في عناقٍ دائمٍ مع السماء، تفعلين ما سبقتكِ إليه من تضرعٍ للرب لأجل الصفحِ؛ الفرحةُ للقائكِ تغلبت تمامًا على حُزني للهبوط على أرض العقاب، لكنكِ لم تنتبهي لوجودي، ولم تذكري أو تتذكري ما حدث من مخالفةٍ لأمر الرب، ووجدتكِ كذلك غير مُقتنعةٍ بأن نصيحتك هي التي ألقت بنا في غيابات البؤس.

ورغم كل شيء، اقتربتُ منكِ، وجدتكِ أضعف بكثيرٍ ها هنا على سطح الأرضِ، ووجدتني من دون عمدٍ أجذبكِ لأُريحكِ

بـين أضلعـي، كانـت تلـك المـرة الأولى التـي أحتضنـك، وكان العنـاقَ الأول، شـعرتُ سـاعتها بشـعورٍ لم آلفـه في الأعـلى، كنـتِ دافئـةً، وهـدأ صـدري وتخـلى عـن رجفتـهِ عندمـا لامسـتْ شـفتاكِ طرفًـا مـن أطـرافِ فمـي..... وكانـت القُبلـة الأولى.

معًـا.... اكتشـفنا فعـل الحـب، اكتشـفنا فعـل البـدء في تقبـل الحيـاة، فكـرة تقبـل المصـير، والتعايـش مـع المُعطيـات الربوبيـة حتـى ولـو لم تكـن عـلى مسـتوى التطلـع والدعـاء.

معًـا.... تخطينـا فكـرةَ النـدمِ عـلى الهبـوط، والحـسرةَ عـلى الفقـدِ، والخـوفَ مـن المجهـولِ القـادمِ.

معًـا.... اقترفنـا الخطيئـةَ الثانيـة في تاريخنـا، والأولى عـلى أرضِنـا بـأن تناسـينا الدعـاء والتوسـل للـرب مُتمسـكين بحـق العـودة، فانخرطنـا في اكتشـافِ التفاصيـلِ، والتعايـش مـع مُسـتجداتِ الرؤيـةِ والشـعور.

لعـل الفضيلـةَ الأولى التـي تشـاركنا في إعمالهـا تمثلـت في تشـبثنا بالقـربِ والاقـترابِ، بالتلاحـم مـع ذواتنـا، الانصيـاع لصـوتِ قلبيْنـا، ابتـكار مُفـردات الحـب الأولى، وترجمـة معـاني الرغبـة في القـرب لأجـل الأمـان.

كنـتِ لي أمـلًا في مواصلـة الاكتشـاف والتكيـف، كنـتِ لي أمانًـا مـن وحـش الوحـدة المُبئِـس البائـس، تجسـدْتِ لي نـورًا حـين يقـرر الـرب وقتيًّـا إخفـاء القـرص الأصفـر السـاطع بالنـور.

أنــتِ الــدفء الأول، الفرحــة الأولى، الخطيئــة الأولى، الهديــة الأولى، النعيــم الأول، العقــاب الأول، الخفقــان الأول، وعــاء الخلــود الأول، الأمــان الأول، مهبــط القلــب الأول، والاحتيــال الأول عــلى الحــزن والوحــدة والانقــراض.

وحينــما رأيــتُ وليدنــا الأول، تغلبــتُ سريعًــا عــلى الدهشــة مــن إخــراج مسخٍ بــشري ضعيــفٍ خائــفٍ مــن أحشــائك، لم أكــن أعلــم أنــه ســينمو ويتعملــق ليضاهينــا طــولًا وقلبًــا وشــعورًا، لكني ساعتها تذكــرتُ الــرب سريعًــا، تضرعــتُ لــه مائــة ليلــة، أسـأله وأدعــوه، ألا يُــدرج الوليــد في بنــد الخطيئــة الأولى، أن يرفعــه إلى حيــث المقــام المُنعَّــم الأول، أن يهبــهُ حــوَّاء كحــوائي، وأن يضــع بــين ثنايــا ضلوعــه قلبًــا عاشــقًا للحــب وللحيــاة.

وعندمــا قــرر الــرب إبقــاء نســلنا جوارنــا، أيقنــت حينهــا أنهــا نهايــة العلاقــة بالفوقيــات، ونهايــة التشــبث بحلــم العــودة للنعيــم، وبدايــة التأريــخ الحقيقــي لحيــاةٍ تتكاثــرُ لتَهــب الكــونَ كتابًــا يكتــظ بتاريــخٍ كاذبٍ متشــابكٍ.

موقــنٌ أنــكِ لا تزالــين تتذكريــن كيــف فشــلنا في تعليــم الحــب الصحيــح لصغارنــا، وكيــف اقترفنــا الإثــم الأكــبر بــأن أغفلنــا تلقينهــم أن الحــب لا يجتمــع مــع الكراهيــة، وأن الحــب لا ينســجم بــأي حــالٍ مــع فعــل الامتــلاك الأعمــى.

هل كنا وقتها قد اكتشفنا دليلنا إلى الرُّقي واحترام الآخر؟

هـل تقاعسـنا كثـيرًا، وتأخرنـا كثـيرًا في ترجمـة العديـد مـن الثوابـت وتركنـا مُهمـة التنقيـب عنهـا واسـتنتاجها لنسـلنا بالتجريب والخطـأ الـذي قـد يعقبـه الصـواب؟

هـوِّني عليـكِ يـا أم الحـب، لا تدمعـي، يكفينـا أنَّا اكتشـفنا الحب وأورثنـاه لألـفِ ألـفِ ألـفِ ألـفِ ألـفِ ألـفِ..... ألفِ عاشـق.

يكفينـا أنَّـا حولنـا العقـاب إلى لـذةٍ في اكتشـافِ الغمـوض، والحـزنَ إلى محطـة انطـلاقٍ نحـو الفرحـة، ومـن اليـأس أُطروحـة عمليـة لاسـترداد آيـات الأمـل.

يكفينـا أنَّا أقنعنـا الكـون بديـن الحـب ومنحنـا الخلـود للعشـق في قلـوب العاشـقين.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث/ للحياة بقية.. ما دامت للقلب هوية.

الرسالة الثانية

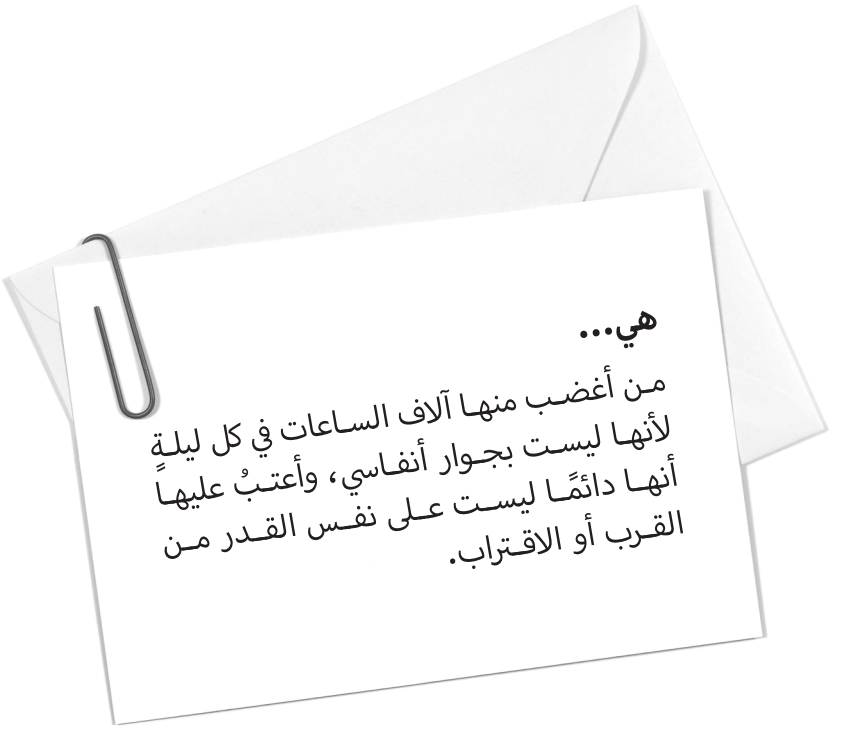
هي...
مـن أغضـب منهـا آلاف السـاعات في كل ليلـةٍ
لأنهـا ليسـت بجـوار أنفـاسي، وأعتـبُ عليهـا
أنهـا دائمًـا ليسـت عـلى نفـس القـدر مـن
القـرب أو الاقـتراب.

الرسالة الثانية

السَّلام على من اتبع النور، واعتقد في براءة الجمال من ذنب الغواية.

السَّلام على من رأى بالقلب ندباتِ القلوب المستترة.

على البساطةِ أينما كانت، وعلى البراءةِ حيثما حلَّت، وعلى عشقِ الحب ولو كان وهمًا.

السَّلام عليكِ يا أم النور ومطلع حرفه.

وإني مُنقب فيكِ عن الحرية، تلك التي فسرتها قبلًا باللاانتظار، واللاارتباط، واللااعتقاد.

التوحد حريةٌ، والاستغناءُ عن الامتلاك حريةٌ، فابحثي جيدًا عن كل ما يُقيد حريتكِ حتى تُنعمي عليه بفعلِ التخلي، وتنتصري لذاتك بالتحرر من سطوةِ الأناقةِ الوقتيةِ في التصاقه بوجودك.

وإني رحلتُ عن المدينة إلى حينٍ، أقتفي أثر الجمال بين ثنايا ذرات الرمال وفضول كتائب استطلاع الموج لجاهزية الأرضِ لاحتواء الاختلافِ عِوضًا عن الخلافِ.

وإني لم أجد ها هنا يا مُلهمتي سوى نبضِ قلبٍ تنكَّر مُصطبغًا بحبات رملٍ صفراء تناثرت على طولِ خط مواجهة جيوش الموج، ليُعلن لي وللبحر وللموج ولشروق الشمس وغروبها ولاكتمال القمر ونقصانه، وللنور الذي أنتِ منبته، أني أفتقدك، وأفتقد المدينة والخلاء... وإنك أنتِ الجمال. حيثما كنتِ كان.

وإني صعدتُ إلى قمة الجبل، مُصطحبًا كلبًا أقنعتني وهمًا بأنه من أحفادِ كلب أهل الكهف، أشركته معي انتخاب نجمٍ عاشقٍ واحتضانه من مكمنه، قَبّلتُ النجم من وجنتيْه.

(وإني سمَّيته عشقًا)، واختليتُ بذاكرته وأبقيتُ الكلب المُقدس شاهدًا على ما كان.

يا أيها النجم المُعبأ بالضحكاتِ والعَبرات، يا حارسًا للجبلِ النائمِ واقفًا، يا خادم القمر الأمين، يا كتابَ تاريخ صامتٍ، يا دامع اللمعة والضحكة، أنبئني بتفاصيل اللقاء الأول والوداع المحتوم، أخبرني من عليائك كيف كانت حبيبتي قبل أن تسقط من فوق قامة نجمها لتمتطي قبسًا من أرضنا.

ارتـقِ بوجـودك الكـوني لتتجسـدَ رسـولًا بـين قلبـين، لتكـن رسـولي إليهـا، ارتـدِ ثـوب النـور السـاطع حتـى تتقبلـك وتسـتمع إليـك، فـإني أعـرفُ كيـف عشـقها للنـور.

تعلـم عنـي لغـة العـرب الحانيـة المُفخمـة فإنهـا تُبجـل مـن يحترفونهـا، لا بـأس عليـك إن تدربـتَ قليـلًا عـلى الغنـاء، فـإن قسـمات وجههـا لحـنٌ سـماوي مُنمـقٌ.

اقـرأ عليهـا حـروفَ الحـب وآيـات العشـق لتمنحهـا دروبَ الخـلاص والحكمـة وذرائـع الاعتقـاد.

أخبرهـا عنـي أني اصطفيتهـا لتشـملَ ضعفـي الكامـن، وأني انتخبتُهـا لتُهيمـن عـلى ملكـوتِ الضيـاء المُصطنـع في أعـماق بصيرتي.

افتعـلْ أمامهـا أعاجيـب لا يـأتي بهـا بـشرٌ حتـى تتيقـن مـن خارقيـة أحلامـي في حـضرة عشـقها.

أخبرهـا أني لا أرتـضي الجلـوسَ في مقاعـد عشـاقها الأماميـة، وليـس يكفينـي كذلـك إن كنـت أولهـم...

أخبرهـا أني أهـوى التفـرد، وأني متفـردٌ بهـا ولأجلهـا، وأني مُنـزهٌ لا أقبـل لي شريـكًا في عشـقها، ولا أقبـل بميـلادِ درويـشٍ أو بـزوغ وليٍّ لهـا.

سـوف أعمـلُ جاهـدًا لأن أنقـل كل الوهـج السـاكن في شراييني ليـضيء لهـا سـقف إدراكهـا ليسـتحيل الظـلامُ في حضرتهـا، ولسـوف

أحرث لها بين نواصي مجرات الكون سماءً تُزرع على سطحها أشجارٌ نورانيةٌ تنعقد على عيدان أغصانها نجومٌ صداحة.

صغيرًا، أراد معلم العلوم أن يمنحنا قدرًا من أريحية التناول للخيال، طلب منا- بعد أن أخبرنا بأن كل نظريات نشأة الكون تخيليةٌ تقديريةٌ ومتغيرةٌ مع تغير المعطيات عبر السنين- أن نمتهن الخيال قليلًا ونمنح أنفسنا والآخرين نظريةً جديدةً لتفسير النشأة والتكوين والتطور.

وإن الخيال هواية عقلي الأولى كما أنتِ هواية قلبي الوحيدة.

نظرتُ كثيرًا قليلًا من نافذة الفصل، ورسمتُ فيلمًا سينمائيًّا على شاشة القدْر الذي واجهني من حجم السماء، جمعت لبطولته كل أبطال الأساطير التي سمعتها، والحكايات المقدسة التي ترويها المآذن، والتراتيل المُنزلة التي تملأ البيوت العطشى للأمان.

أخبرتُ مُعلمي اختراعي الكوني الفذ، ونظريتي النابتة من الأساس من نبوتي المؤجلة:

"الكونُ نتاج الشجار الأعظم بين النار والجنة، حين بصقت الأولى على الأخيرة مدعيةً تفردها بالقوةِ والوهجِ والهيمنة على آبار الرهبة، فتطايرت من فمها جبال البراكين واللون الأسود....

فـردَّت عليهـا الجنـة بصفعـةٍ مباغتـةٍ، فتطايـرت الأنهـار والأشـجار واللـون الأبيـض.

وجئنا نحن ها هنا متطوعين للصلح بينهما".

ألمحكِ تبتسمين بارتيابٍ يا حبيبتي...

كان الحـل الوحيـد الأوحـد لمـدرس العلـوم بعـد أن اجتمـع بـوليِّ أمـري وناظـر المدرسـة أن يتـم نقـلي إلى صـفٍّ آخـر لا يُـدرس لـه حتـى يُنهـي أبي تربيتـي.

لكـن دعينـي الآن أُعيـد إجابتـي بعـد تـآكل كل هـذا الكـم مـن السـنين، ولربمـا أُرسـل بإجابتـي الجديـدة لمعلـم العلـوم إن كان لا يـزال مُتشـبثًا بالحيـاة.

"الكـون نتـاجُ التقـاء عاشـقٍ مـن سـكان الجنـة لعاشـقةٍ مـن سـكان النـار، ولربمـا كان النقيـض أصـح، حـين ولـد الحـب لتـوه وحيـث سـكن، الكـون هـو الجـمال الـذي ترَسَّـم حـين انتخبتـكِ النـار لتكـوني رسـولتها إلى الجنـة آملـةً في الوحـدة والسـلام.. ولربمـا كان النقيـض أصـح".

الكـونُ انشـطارٌ فلـكي هائـلٌ بـين خيالـيْن، هـو حرفٌ مـن حروف أبجديتـك، نـورٌ تشـكل فقط ليُـبرز تفاصيـلَ تكوينـك النوراني.

وإني عاشـقٌ للحيـاة مـا دمـتِ فيهـا، وعاشـقٌ للمـوت شريطـةَ أن أُمنـح وعـدًا باللقـاء والرفقـة، وإني ولِـهٌ بالجـمالِ فقـط لأنـكِ منـه وإليـه وبـه وعنـه ولـه وعنـده وفيـه وتوكيـده ونفيـه وتفخيمـه

وتشـكيله وتنميقـه وحاملـةً لخلـوده حتـى يحـين الحـين، فيولـد مـن ضلعـكِ مُجـددًا إصـدارٌ حديـثٌ للجـمال يتسـق مـع معطيـات الحيـوات الآتيـة.

يـا حبيبـة الجـمال ومعشـوقته، يـا تريـاق تشـبثي بالـروح، امنحينـي قُربًـا واقترابًـا مـن عروشـك في كل المكتـوب مـن حيواتـك، فـإني أسـتحق... فقـط لأني أحبـك... فقـط لأني أحبـك... فقـط لأني أحبـك.... ويكفينـي.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

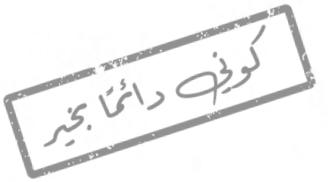

الرسالة العالقة

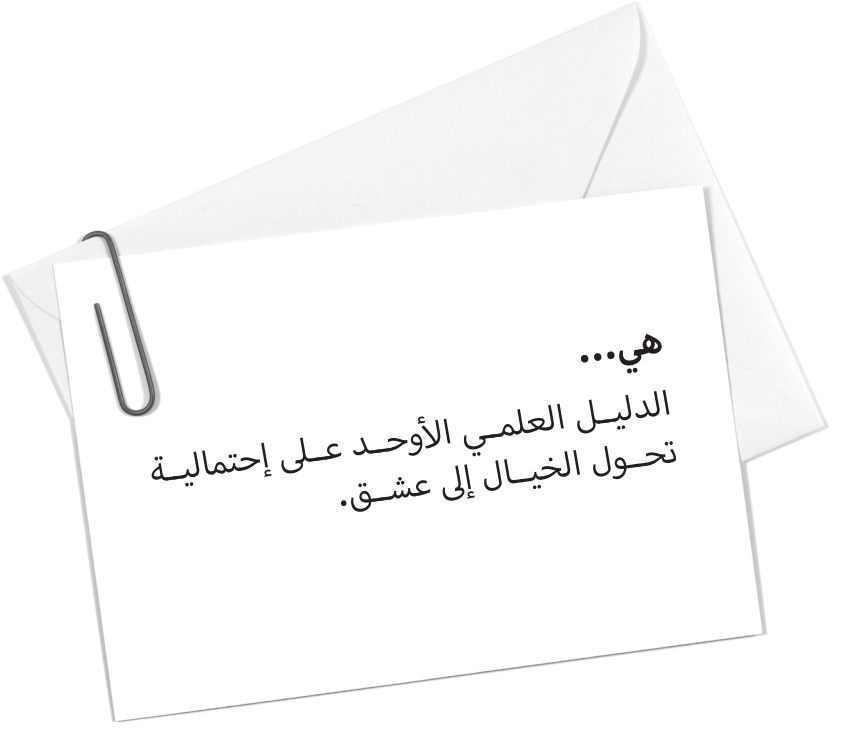
هي...
الدليـل العلمـي الأوحـد عـلى إحتماليـة
تحـول الخيـال إلى عشـق.

الرسالة الثالثة

السَّلامُ على الواقع الواهم الموهوم، على الافتراض الخادع، على رغبة المُنكسرين في افتعال الأسباب التي تُواجه المِحَن.

السَّلامُ على فضاءات التواصل غير المرئية، تربط بين أوهامِ الناس لتصنع لهم أرضًا جديدةً، سماؤها الأُمنيات الضائعات.

السَّلامُ على صورتكِ التي رأيتها يومًا تُزين باب منزلكِ الافتراضي الشاهق، فتحمست للإبحار، واجترأتُ..

السلام على لقائنا الافتراضي الأول.

وإني خاطبتك دون النداءات البروتوكولية المُقننَة، تلك التي اعتادها الجانحون عن حيز فضاءاتهم، أظنكِ لا تعرفين ما كتبته لكِ حينها على جدار غرفة الحديث الخاصة:

"رأيتكِ لتوي ها هنا..... كنت أنتظرك....."

واكتفيت.

أمهَلتُـكِ سـاعةً كاملـةً لتُجيبينـي، لكنـكِ لم تكتبـي شـيئًا في المقابـل.

بعـد سـاعتين مـن الاعتـكاف انتظـارًا لـردكِ، ظهـر أخـيرًا إشـعارٌ إلكـترونيٌّ مفـاده وكأنـكِ قـد رأيـتِ رسـالتي.

اعتكفـتُ بعدهـا ألـف دقيقـة في انتظـار كلمـة ترحيـبٍ أو قبـول، واعتكفـت بعدهـا ألفـين في محاولـةٍ جـادةٍ لدراسـة كل كلمـةٍ كتبتيهـا عـلى حسـابكِ الشـخصي، وكل تعليـقٍ منـكِ أو إليـكِ، وكل صـورة لـكِ مـع أحدهـم أو إحداهـن.

لكنـكِ فضلـتِ الصمـت، ربمـا فاجأتـكِ أكـثر مـن اللائـق بتوجيـه حـوارٍ مـن غـير سـابق معرفـةٍ أو تعـارف، أو حتـى وجـودي في قائمـة أصدقائـكِ الافتراضيين.

أيـامٌ مـرَّت، شـعرتُ خلالهـا بخليـطٍ عجيـبٍ مـن الإحبـاط والتطلـع والاشـتياق واليـأس والفرحـة وإدمـان الاعتـكاف أمـام الحافلـة الإلكترونيـة.

قررتُ بعد قليلٍ من الأيام أن أكتبَ إليكِ ثانيةً.

أعرفُ يقينًا أنكِ لا تُدركين كيف كانت رسائلي:

"إن كانـت صورتُـكِ المُعلقـة عـلى بابِـكِ حقيقيـةً، فأنـتِ تلـك التـي حلمـتُ بعشـقها أكـثر مـن ألـف حلـمٍ في ألـف ليلـة، ناديـت عليـكِ بينـي وبـين نفـسي مئـات المـرات، في خلـوتي بـذاتي، في حجرتي، في أحشـاء البحـر الـذي أسـتحم عـلى عتبـات موجـهِ مـرةً وحيـدةً

كل عام، على صفحات كتاب العشق الذي انتويتُ كتابته منذ سنواتٍ، ولم أخط حرفًا منذ هذا الحين منتظرًا تسميتكِ باسمٍ يليقُ بجلال قدركِ عندي...

ربما تُشبهين بعضهن في جزءٍ من ملامحهن، لون العين، درجة السُّمرة الأرجوانية الخصبة المُلهمة، وربما في الطول أو مقدار الوزن، أو في عشقكِ لقوالب الحلوى، أو حتى انبهاركِ بمشاهير الفن وكرة القدم...

لكني أؤكد لقلبك أنه متفردٌ تمامًا... تمامًا، وأؤكد لعقلكِ أني لا أجد سببًا واضحًا صريحًا لما أشعرُ به تجاهكِ، وكل ما يربطني بكِ أني رأيتُ صورتكِ في صدارة حسابك الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي الأشهر بمصادفةٍ عنقوديةٍ كونيةٍ مُعقدَةٍ".

وبالاستعانة بخبراتِ أحد أصدقائي في مجال تواصل البشر مُجتمعيًّا، أدركتُ يقينًا أنكِ لم تقرئي حرفًا من تلك الكلمات التي أرسلتها لكِ على مدار اعتكافٍ ذهني ونفسي كامل دام لأكثر من شهرين.

لذا فإني أبدأ رحلتي معكِ الآن من جديدٍ، أكتب لكِ ها هنا واقعيًّا كل ما لم تقرأيه افتراضيًّا وأزيد عليه:

أني تعقبتُ أخبارك، وتحدثتُ إلى كل من يعرفكِ واقعيًّا، وتوصلت إلى رقم هاتفكِ، وعنوان مسكنكِ ومحل عملكِ.

أرجو أن تُمهليني لأُكمِل لكِ كل ما بجعبتي حتى نهايته.

أنا يا سيدتي ماسحُ السيارات الذي ظهر في مُحيط منزلكِ منذ شهرٍ ونصف الشهر ليمنح كل سنتيمتر من جسد سيارتكِ كل صباح بريقًا مُميزًا دون أن يظهر ولو مرةً ليحصد أجرته.

أنا يا "واقعًا افترضته"، و"افتراضًا جعلته واقعًا" من دفع الكثير ليرضخ بواب وأمن الوزارة التي تعملين بها لتخصيص مكانٍ دائمٍ مغلقٍ، مُعلقٍّ أمامه "خاص بالسيارة رقم (.....)"، حتى لا تُرهَقين ثانيةً في البحث عن مكانٍ يستوعب انتظار سيارتكِ حتى انتهاء الدوام.

أنا يا ملاذي من بعث لكِ صندوقًا بحجم اتساع اغتراب اليدين مملوءًا بكل أنواع الشيكولاتة والحلوى إلى مكتبكِ.

أنا الذي أرسل الورود إلى عتبات بيتكِ كل مساء، من عقد اتفاقًا مُغريًا مع مُعدي البرنامج الإذاعي الغنائي الأشهر للاتصال بكِ لتخوضي مُداخلةً مباشرةً تنتهي بإهداءٍ مُرسل إليكِ بأغنية "أنت عمري".

أنا الذي رتبت مفاجأة المتجر الكبير الذي اتصل بكِ مسئولو التسويق والدعاية به ليبشروك بفوزكِ بقسيمة شرائية بعشرة أضعاف فاتورتكِ الأخيرة.

أنا الذي دفع صاحب المقهى النيلي الذي يمنحكِ قهوتكِ كل مساء لأن يُخبركِ بفوزكِ بجائزة المقهى السنوية بخصم نصف قيمة كل فاتورة ترحيبًا بواحدةٍ من أهم مرتادي المقهى منذ افتتاحه ولمدة عامٍ كاملٍ.

أنا الذي وضعتُ القط وقفصه على صدر مقدمة سيارتكِ، صندوق الكتب، قنينة العطر، لوحة وجهكِ المرسوم، قصيدة الشعر، علبة السجائر النسائية الرقيقة، تذكرة مباراة التأهل لكأس العالم في كرة القدم، كارت الذاكرة الإلكتروني الذي يحوي عشرة أفلامٍ عالمية راقية، من بينها بالطبع :

I Have got Amail, Sweet Nove, EatPray& Love ,.....

وأتمنى ألا تنزعجي إن أخبرتكِ أني ذلك الشاب الذي تقدم لعمكِ منذ شهرين طالبًا الزواج منكِ، ولم يصلني ردٌ على طلبي حتى تاريخ كتابة تلك السطور.

وأتمنى كذلك ألا تنزعجي إن أخبرتكِ أني أجلس الآن على بُعد خطواتٍ من مقعدكِ في مقهاكِ المُعتاد الذي تحتسين فيه قهوتكِ المسائية.

أتمنى فقط أن يدفعكِ فضولكِ لأن تبحثي عني فيمن حولك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

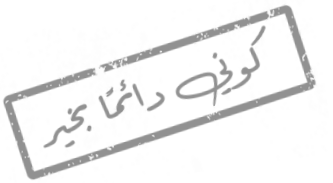

الرسالة الرابعة

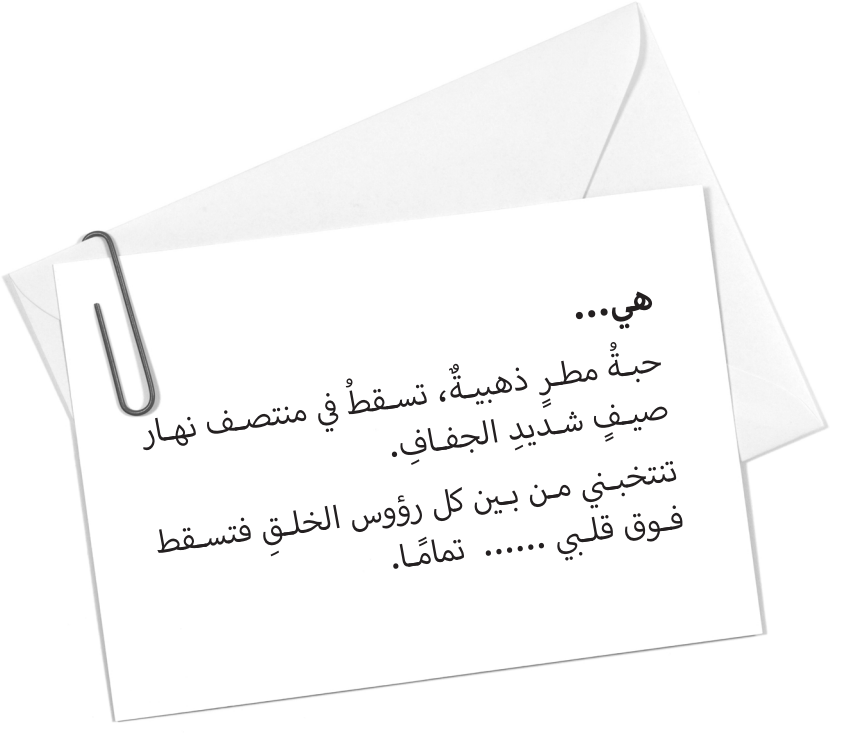
هي...
حبةُ مطرٍ ذهبيةٌ، تسقطُ في منتصف نهار صيفٍ شديدِ الجفافِ.
تنتخبني من بين كل رؤوس الخلقِ فتسقط فوق قلبي ..... تمامًا.

الرسالة الرابعة

السَّلامُ على الخيالِ حينما يغارُ من الواقع فيُقرر أن يُغير عليه إلى أن يقع في غرامه ليلدَ لنا هجينًا من حُلمٍ أكثر خصوبةً وتشويقًا.... من الواقع منفردًا، ومن الخيال منفردًا.

السَّلامُ على العشقِ الدافع تجاه التفرد، وعلى الفراق الدافع ناحية الحزن المُمتع، وعلى أمل العناق المُتجدد يمنح العاشقين موهبة الصبر الطويل.

السَّلامُ على الدموع الأولى في لحظةِ الفقد الأول، ولحظة الاشتياق الأولى تلك التي جسَّدت للإنسانية حُزن السماء وقتما حان الحين ليمتهن القتل التعبير الأصدق عن الحب، فانهمرت عيونُ السماء بالمطر.

وإني يـا صديقـة دمعـي مللـتُ الصـبر عـلى الفـراق، وأعلنـتُ الحـرب عـلى الهجـر، وأطلقـتُ حكـمًا تاريخيًّـا بإعـدام انعـدام الأمـل.

قـررتُ أن أبحـث عنـكِ في كينونـة الأشـياء، كل الأشـياء، أن أصنـع مـن القبـح جـمالًا بتخيلـك عـلى ضفافـه، أن تتحـولي إلى تاريـخٍ بأكملـه، وإلى واقـعٍ بأكملـه، وإلى مسـتقبلٍ بأكملـه.

مـا بـين اللقـاء واللقـاء بحـرٌ يمـوجُ بالترقـب والحلـم، ومـا بـين الممكـن ونقيضـه، أسـطولٌ مـن الملائكـة يعتـلي المـوج حينًـا... يرسـمُ لوحـةً للنـور، ويغـوص في القـاع حينًـا... ينتقـي مـن خبايـا الـروح شِـعابًا تُشـبه الـورود في ملمحهـا والشـوك في ملمسـها.

قـررتُ منـذ زمـنٍ لم أعـد أحسـب تقويمـه أن أكفـر بالحـب دون إهانتـه أو التقليـل مـن قدسـيته، ولأن النـاس لا ينبـذون المُلحديـن بالعشـق فقـد صرتُ بينهـم قديسًـا فيلسـوفًا عميـق النظـرة والحـرف، أصافـح الآلاف وأعانـقُ المئـات وأصـادقُ العـشرات وأقـترب مـن الآحـاد متخـذًا مـن شـعاب الشـوك المُزينـة بالشـوك شـعارًا لرايـاتي.

كيف لي أن أرفضَ هدايا الملائكة على كل حال.

لكنـي ابتعـتُ حـين لقائـك الأول قليـلًا مـن الإيمـان لأهـادن الحـب مـرةً أخـرى علّـه يمنحنـي دربًـا مـن دروبِ التوبـة.

أنا الذي رفضتُ منذ البدء ذاتية الحرف وشخصنة الإبداع لأهبه لهموم الناس ووجع الوطن، أجدني مدفوعًا لأن أختلق مدينةً للعشق على الورق أبتني على أرضها ما لا يصح بناؤه على أرض الناس، وأغرس في قاع بحارها بذورًا للورد الناعم المُنزه عن الأشواك.

ربما هي الجنة، وربما هي النار، ليس التوصيف مُهمًّا هنا ففي رأيي لا فرق بينهما في مدينتي الجديدة.

ربما أشعرُ فيها بالوحدة، وربما أصطدمُ بين الحين والآخر بخيالية التكوين وعدمية الواقع، لكني أرتضي.

قريبًا سأكتبُ عن الحزن اللامع في عينيكِ .

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية ... ما دامت للقلب هوية.

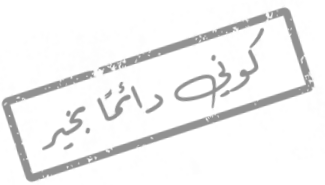

الرسالة الخامسة

هي...
الفرحـة بلقـاء... يتبعهـا مبـاشرةً حـزنٌ
لدنــو انقضائه.

الرسالة الخامسة

السلامُ على نظرة العين الأولى، إلى قلب الحبيب، وفرحة القلب الأولى بميلاد نبضٍ مُغايرٍ لكل أسلافه.

السلامُ على وجهكِ الضاحكِ وأناملكِ التي تحتضن القلب في عناق اليد لليد.

السلامُ على كل الملائكة المُصطفين حولكِ وفوق رأسكِ في مهمةٍ شديدة القدسية لحماية الجمال على أرض الرب.

وإني توسلتُ إلى الحرسِ الملائكي لأن أخترق حدود النظرة ليكتمل عناق الأنامل.

أخبرتكِ في نهاية رسالتي السابقة بأني سأتحدثُ عن تلك اللمعة الباكية سرًّا في عينيْكِ.

سأُفاجئك الآن بتفاصيل اللقاء الأول.

كنتِ هناك، تُباغتين النظرات بثبات الجمال، تُغازلين الحروف بأبهة التلقائية الناعمة في التلقي والحديث.

عزفتُ عن النظر إلى عينيكِ لقاء تفحص عيون ناظريكِ، سامحيني... إنها هواية قديمة بأن أرى الجمال في عيون المتطلعين إليه.

لم أركِ في حضرة الحرف قبلًا، وسامحي جهلي إن قلتُ إني لم ألمحكِ في دائرة احتكاكي بالحياة من قبل، لقد ولدتِ الآن، أو بُعثتِ الآن.

أخبرتُ عيني أنكِ هبطتِ لتوك من السماء، وأخبرتني عيناي أني رأيتكِ قبلًا في حياةٍ قبل الحياة.

كان لا بد وأن أحتفل برؤيتك، أن أقتنص من اللحظة تفردها واختلافها، أن أغتال تلاحق التفاصيل وأُقْدِمَ على محادثتك.

استغرق الأمرُ مني ألف ألف حياة حتى تحتويني شجاعتي وأبدأ أولى خطواتي تجاه الحديث إليكِ.

كنت ولا أزال أعتقد تمام الاعتقاد بأن السماء لا تتنزل بالجمال مصادفةً أو بلا هدفٍ وغاية.

وارتأيت في بعثكِ على كوكبي حنانًا من السماء تربت به على عيني وقلبي.

انتظرتُ مائة حياة أو يزيد كي تصبحي وحيدةً بلا مريدين، لا يصح على كل حال أن يكون حديثنا الأول مُشتتًا بتعددية الأفواه وتقاطع الأصوات.

تأكدت بعد الحياة المائة أن مثلك لا يُترك دون تابعٍ أو مُريدٍ، وأن انتظاري عبثٌ يجب أن يتوقف.

شددتُ الرحال إليكِ، قافلتي كانت بطيئةً مذبذبةً، حائرةً، مهددةً مع كل خطوةٍ بإغارات القراصنة.

لكني وصلتُ.

انتصبتُ أمامكِ كتلميذٍ حصل على ألف درجةٍ علميةٍ غابت عنه في حضرة الملاك الأول كل فحواها.

نظرتُ مباشرةً إلى عينيكِ دون وسيط.

كنتِ تمامًا كوطنٍ خابت ثورته لكنه ما زال يبتسم.

إنه وطني.

وهنا... وهنا فقط... بدأتُ التأريخ لانتمائي.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

الرسالة السادسة

هي...
مَـن كلفتـني السـماء بحبهـا وأوحـت لهـا
عينـاي أني أحيـا انتظـارًا لمقدمهـا.

الرسالة السادسة

السَّلامُ على الأرض التي ارتضت باحتوائنا على سطحها، رغمًا عن كل تحذيرات عائلات الكون لها بالتخلي عن فكرة احتواء الفناء.

السلامُ على الأرضِ حين استشعرت معنى الأمان في حضرةِ العشق الآدمي الأول، وتنبهت إلى صدق القلب حين يرتبط بآخر، فتنازلت عن كل احتياطات الأمان الكوكبية لتُفسح المجال ليتناسل العشقُ على سطحها.

السلامُ على الأرض حين كشفت النقاب عن هيئة طبيعتها ليُعبر العاشق الجاهل عن حبه بالإشارة، وحين كشفت له عن أصوات طبيعتها ليُخاطب العاشق النابت حبيبه بالصوت منعدم الإيضاح، وحين كشفت له عن الحضارة فترجم الإشارات مع الأصوات ليخترع الأبجدية الأولى.

السَّلامُ على الأبجدية الأولى أينما حلَّت وحيثما اندثرت واختفت معها المادة الخام لعباراتِ العشق الأولية.

وإني أناديكِ يا حبيبتي كل مساء.

يا أيتها الغريبة القريبة!

يا مصباح النور حين تنطفئ النجومُ، يا حرفًا يرفضُ الانغماس في تشكيلِ إيقاع إبداعٍ فقيرٍ، حتى لا يُتهم يومًا بالإجرام في حق القيمة والاختلاف.

يا سيدة القلب..

كيف رأيتكِ أبجديةً في ذاتها، وكيف تحولت من حرفٍ إلى رمزٍ، ومن رمزٍ إلى وطنٍ، ومن وطنٍ إلى أسلوب نبضٍ وحياة.

إن كنتِ حرفًا فلا بد وأنكِ حرفُ النون، أكثر حروف الدنيا جمالًا وجلالًا وقدسيةً، أقسم بكِ الرب فصرتِ توكيدًا للحقيقة وتبيانًا للحق.

وإن كنتِ كلمةً فإنك نورٌ من دون نار، وإن كنتِ كتابًا فأنتِ كتابُ العشق المُقدس، ذلك الذي لا يكفر به من كان عاقلًا متفكرًا بقلبه.

ياا كل الحروف وكل الكلام وكل الكتب.

هل أخبرتكِ يا سيدتي قبلًا بأني قررتُ التعمق في دروب الفلسفة- فقط- لأمنحكِ توصيفًا ذهنيًّا مغايرًا لمباشرة الحرف وتلقينية الوصف.

لقـد رأيتـكِ تاريخًـا لعمـري القـادم، فقـررتُ كذلـك أن أبـدأ التأريـخ لمسـتقبلي... فقـط بالنظـر في عينيـكِ.

يـا صديقـة الطفـل الكائـن في دخائـلي.. اعلمـي بـأني لـن أسـمح لي بالاحتفـال بعيـد ميـلادي القـادم، وأي قـادم.... حتـى أحتفـظ بصداقتـك المرهونـة بطفولتـي.

يا علبة الألوان!

يا أمة الحروف!

يا قبيلة الأرقام!

سـوف أسـتأذن منـكِ قليـلًا حتـى أعكـفَ عـلى تكثيـف كل قـراءاتي ومذكـراتي ومحـاولاتي للإبـداع لتشـكيل كوكـبٍ جديـدٍ يحـوي مفـردات ملامحـكِ وفقـط.

سأطلق عليه الملاذ...

يـا كوكـب المـلاذ.. إني أمنحـكِ التحقـق والتفـرد والخلـود، فامنحينـي فقـط الحيـاة عـلى سـطحك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ... ما دامتْ للقلب هوية.

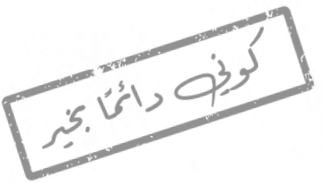

الرسالة السابعة

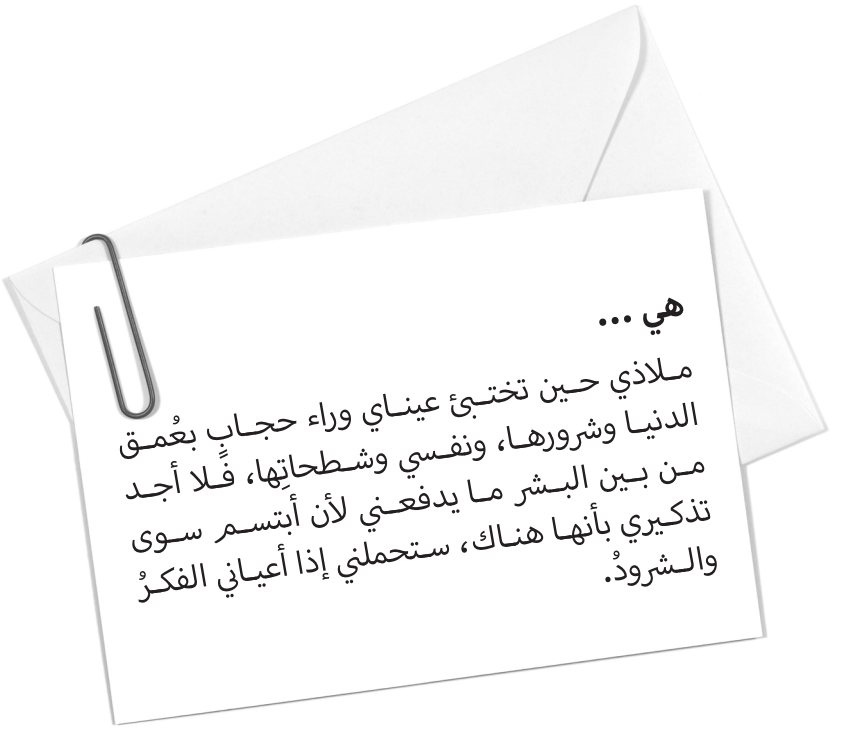

هي ...

مـلاذي حـين تختـبئ عينـاي وراء حجـابٍ بعُمـق الدنيـا وشرورهـا، ونفـسي وشـطحاتِها، فَـلا أجـد مـن بـين البـشر مـا يدفعـني لأن أبتسـم سـوى تذكـيري بأنهـا هنـاك، سـتحملني إذا أعيـاني الفكـرُ والـشرودُ.

الرسالة السابعة

وبعد السَّلامِ ..

وقبل الفراقِ.

وبعد الغيابِ من بعد الغياب.

وبعد انتحارِ الممكنات.

أُقرئكِ الحبَّ.

وأمنحكِ سكينة الانتظار.

فقط سوف أحكي لكِ، ومن دخائل الحكي سوف أحكيكِ.

كيف أحكيكِ؟

سوف أبعثر المواطنين سكان جراب الأبجدية بإطلاقهم في براحِ الهواء قدر ما أستطيع وقدر ما أمتلك من خيالٍ،

وأمنح السماء لحظتها دورها المُقدس المطموس في إعادة لملمةِ الحروفِ على سياقٍ غير متوقع.

لحظتها، ولحظتها فقط... سوف تتحول الأبجدياتُ إلى نقوشٍ نورانيةٍ تُشكل قسمات وجهك، مرئية لي وحدي، بينما يراها الآخرون نورًا كثيفًا مُكثفًا يجتهدُ نافذًا من السماء إلى الأرض عبر الثقب الفاصلِ بين سحابتين في نهار يومٍ شتوي مُشمسٍ.

هل تعلمين بأن أول كتابٍ ابتعته وقرأتُه كاملًا كان يتحدث عن الثورة الفرنسية، كتبه أحد اللويسييْن عوض أو جريس، لا أتذكر تحديدًا، لكني أعتقد أن جوجل يعرفُ صحيح المعلومة جيدًا.

ليس هذا هو المقصود في ذاته، أردتُ فقط أن أمنحني ما ضنَّ به التاريخُ عليَّ.

أن نصبحَ أصدقاء منذ الحبو العقلي الأول.

لكِ أن تتخيلي كيف لطفلٍ في الثامنة أن يبدأ عَلاقته مع الكتب بدراسةٍ عن الثورة الفرنسية، وكيف لعقله الصغير أن يتمادى فيبحث عن المزيد، وكيف يفقد صوابه غير المُكتمل من الأساس فيبدأ في العاشرة بحثًا متعدد المنابع والرؤى عن ثورة الضباط في مصر على الملكية، تلك التي أسماها انقلابًا فيما بعد.

وعندما تبين له تمامًا أن كتب العرب تقتل بتباينها المُتعمد كل أثرٍ للحقيقة، فقرَّر القرار المجنون الأول في جنونه...

قرَّر أن يسأل المُحتلين .... أو الملك.

لا عليكِ.. ربما الكلماتُ ليست مفهومة معانيها البعيدة، وبالتأكيد هي لا تعني معانيها القريبة...

لذا ربما ينبغي علينا الاتفاقُ على احتمال الغموض أو تفكك الأفكار واغترابها.

علينا اصطناعُ براحٍ لا يحوي ولا يقبل سوانا، لا يجب أن يتفهم غيرنا تلك الرسائل على كل حالٍ.

نسيتُ أن أخبركِ كذلك بأن رفاقي كانوا يسخرون دائمًا من قراءاتي ومن طريقةِ حديثي، حتى إخوتي كانوا يروونني صاحبَ عاهة.

هل أضطر الآن لأن أقسم لكِ أنك كنتِ حاضرةً تلك المشهدية المرعبة لكيان صبي صغيرٍ .

كنتُ أراكِ واقفةً، ناظرةً من بعيدٍ بعيدٍ، تخشين الاقتراب، أو تُفضلين تأجيله.

أيامها كنتُ أراكِ بلا ملامح جليةٍ، لكن ابتسامتك كانت حانيةً إلى الحد الذي يجعلني أتحمل المؤامرة الكونية بتسفيه ما أحب، كنتِ منذ البدء وازعًا للاستمرار.

حتى أني رسمتك بالألوانِ الخشبيةِ في الصفحة الأخيرة من كراسةِ الرسم، تلك التي لم تكن الأبلة كوثر مُدرسة الرسم تُوليها أي اهتمام، ولا تطلب من أحدنا الرسم فيها، لكنها قد تمنح أي منا علقةً مُعتبرةً إذا لم يشترِ كراسة الرسم أو تناسى جلبها معه من المنزل.

كنتِ الرسمَ الأول في كل كراساتِ الرسم في كلِّ حصص الأبلة كوثر.

ولأن الجمالَ في الدنيا يحتمل قرصنة الأشرار بين الحين والحين، فقد رأى الزميل "هيثم محمد السيد الفطاطري" وجهك الباسم في صفحةِ كراسة الرسم.

وما هي إلا فيمتو ثانية أو أقل حتى كان الخبرُ على عتبات خرزانة الأبلة كوثر.

لم تنتظر إجابةً على سؤالها حتى تُقرر العقاب من عدمه.

لكن كل ما أتذكره أني أجبتها من تحت أنقاضِ التعذيب ...

" هذا وجهُ الوطن "..

نعم... أجبتُ الأبلة كوثر بالعربية الفصحى بأن وجهك وجهُ الوطن.

فغرت فاها لخمسة لملايين من الفيمتو ثانية ثم أكملت مهمتها المُقدسة في وأد الفتنةِ في عقلي، مرددةً بعصبيةٍ أشد: "مين حفظك الكلام ده يا قليل الأدب؟".

هـل أحتـاج بـأن أقسـم لـك بـأن وجـه الوطـن في الرسـمة الطفوليـة بكراسـة رسـمي الرضيعـة، والتـي مزقتهـا الأبلـة كوثـر إلى ألـف ألـف قطعـة ورق... كان وجهـكِ أنـتِ.

تبـين لي الأمـرُ حينـما رأيتـك للمـرة الأولى بنفـس الابتسـامة التـي انتميـت إليهـا منـذ سـنواتٍ بعيدةٍ.

شـكرًا لأنـكِ كنـت هنـاك عندمـا اتهمـوني بفشـلي في احـترافِ الطفولـة، ذلـك الـذي يمنحهـم صـكًّا خياليًّـا بعملقـة الرؤيـة والأحجيـات.

شـكرًا لأنـكِ منحتينـي مـا يكفـي سـاعتها لتحمـل المزيـد والاسـتمرار في دربِ الجنـون.

شـكرًا لأنـكِ منحـتِ التاريـخ نبضًـا ودمًـا ليحتمـل ألمَ المخـاض حتـى يُولـد المسـتقبل.

شكرًا لأنكِ ما زلتِ تبتسمين.

شكرًا لأنكِ تقرأين رسائلي.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

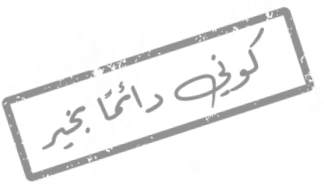

الرسالة الثامنة

هي...
شـعاعٌ مـن أمـلٍ نفـذ إلى أيامـي هاربًـا
مـن قيـودِ القرابـين فمنحـني كثـيرًا كثـيرًا
مـن الصـبر.

الرسالة الثامنة

السَّلام على من خلقَ الأعيادَ لتمنح الناسَ الصبر على غموضِ مستقبلِ الفرحة.

السَّلام على من اعتقد في حتميةِ التشبث بالسعادةِ حين يحين العيدُ.

السَّلام على الفرحةِ المُؤجلةِ، والعيدِ المُؤجل.

السَّلام عليكِ.. يا عيد القلب وفرحته.

وإني مُهادنٌ للحزنِ....

أستظل بعيدان الفرحة، فأسترق السمع ليخبرني الناس بأنها أيامُ عيد.

كل عام وأنتِ العيد، وأنت الضحكة المُخزنة بجاهزية الكريم كموطنٍ للجوءٍ موقوتٍ ومؤقتٍ، هاربًا من أغلال

الحـزن، آمـلًا في الحصـول عـلى تأشـيرةٍ بالإقامـةِ الدائمـة بعيـدًا عـن أوطـان الدمـوع.

أحتاجُ إليكِ.

بـكل مـا تحملـه الكلمـةُ مـن معانيهـا البِكـر النقيـة قبـل أن يألفهـا العـوام ويمـرون عـلى مكنونهـا مـرور الغافلـين.

أحتاجُ إليكِ.

كيف يأتي العيدُ دونكِ؟

وكيـف يُحـددون موعـدًا للعيـدِ دون مراجعـةٍ لأوان التجـلي بداخلـك.

الآن.. الآن... تخلي عـن كل حسـاباتِ المنطـقِ الدَّارجـةِ، اقتحمـي معـي أسـوارَ غـير المُفـترض والمسـتحيل، اسـتعدي لتحمـل تبعـاتِ القـرار الأكـثر جنونًـا في حياتنـا.

الآن.. الآن... تجهَّـزي للظهـورِ في مؤتمـرٍ صحـافي مُغلـق، تُعلنـين فيـه أمـام كل منافـذ حواسـك بأنـكِ مهيـأةٌ تمامًـا للقـائي، لا تتعجـلي في الـرد، اسـتخيري قلبـكِ بعـد أن تؤممـي العقـل لصالحـه.

أحتـاجُ إلى الفرحـةِ، مللـتُ التظاهـر بهـا، واسـتجداء ملامحهـا بالدمـوعِ، أشـتاقُ إلى الضحكـة النقيـة في أيامـي الخـوالي، أحتـاجُ إلى طفولتـي.

أتوسل إليكِ بأن تمتهني فعلَ آلة الزمن الأسطورية، لتُعيديني إلى ما قبل الإدراك والصدمة والتصادم، إلى ما قبل محاولاتِ إعمالِ العقلِ، إلى ما قبل النبوةِ الزائفةِ، إلى ما قبل إدمان الحرفِ والضياعِ بين ثنايا دروبهِ.

يا أيتها الفرحةُ المؤجلةُ، يا بريقَ العين الواهبِ للأمل، يا ابتسامتي المُخزنة، يا خارطة الكون بكل تفاصيله، تضاريسه، وتاريخه....

.. كوني أنتِ الحياة حتى أعاود حبها...

كوني أنتِ السماء حتى تُمطري بخَّات الفرحة فتنبت الزهورُ مُعلنةً انتهاء عصور التصحر.

اصنعي لي من كلمة "أُحبك" زورقًا شراعيًّا بحجم مشهديةِ الشروق، أمتطيه سابحًا في شرايينك، مُتنعمًا بكل خلايا الجنةِ في تفاصيلك.

يا مصباحًا زيتيًّا بدائيًّا عرفتُه صغيرًا عند انقطاعِ كل سُبل النور ليلًا، يهبني الدفء في ليالي الشتاء الموحشة، يمنحني فرصةً جديدةً لاكتمال النبضِ، أستذكر على أشعته كل دروس العشق المُصفى والمُنزه، أُهرولُ منتهيًا من كل فروضي الجنونية قبل أن يغيبَ وينتهي.

يا كل الذكرياتِ المؤجلةِ، يا كل قصص الغرام المُعتقة، يا كل الحب، وكل العشق، وكل الدماء في شرايين الورق.

امنحيني الخلودَ على عتباتِ شفتيكِ، كوني أكثر سخاءً من خصوبةِ الأنهارِ، وكافئي قلبي بأن يحتضن قلبكِ.

ضعي يدكِ فوق يدي، وقلمكِ بجوار قلمي، ودعينا نخط للعوام تعريفًا جديدًا للعشق، دعينا نُخبرهم بأن الحب ليس كلمةً وفقط، وليس قُبلة وفقط، وليس لقاءً ووداعًا، نحن يا رفيقة القلب مدفوعون دون إرادةٍ أو اختيارٍ لنهب الحياة للعشق الكامن إكلينيكيًّا بين الناسِ وبداخلهم، ليس لشيء إلا لأننا مُنتخبون لامتلاكِ زمام السراب كله، (الوهم... والقلم).

اكتبي معي بدايةً لا تبدأ... حتى لا نستنهض ساعة التاريخ الزئبقية لبدء العدِّ وصولًا للفناء.

دعينا معًا نتلاعبُ بالزمن، نودِع كلماتنا في بنكٍ سماوي خارج كل حسابات البشر المتأقزمة.

نصنع ساعةً لا تخص سوانا، تتجدد عقاربها مع كل قصةِ عشقٍ صادقةٍ، نرصُّها مع مثيلاتها في خزينة الخلود.

دعيني أصمم في ساعتنا جهاز إرسالٍ بمفرداتٍ غير ماديةٍ، نتواصل به مع عشاق كائناتِ ما قبل الخلق الآدمي، مع نماذج لا نهائية من حيواناتٍ عاشقةٍ، ونباتاتٍ مُحبةٍ، وأشجار غاباتٍ تتناسلُ في السماء فيولد الجمالُ على الأرض.

دعينا نتواصلُ مع كائناتٍ تحيا في كواكب أخرى، ومجرات أخرى، وسماوات أخرى...

نجمـعُ الـكل في كـونٍ واحـدٍ وحيـدٍ، نبتـدعُ لـه اسـمًا مـن أبجديـةٍ جديـدةٍ، لا يعيهـا سـوى سـكانه.

سـوف نصنـعُ حضـارةً لم يعهدهـا بـشرٌ، نختلـقُ حروفًـا جديـدةً للأبجديـةِ ننقشـها عـلى معابـد العشـاق ، ونصوغهـا نـواةً للسـمو.

دعينـي أطلـق عليهـا حـروف (الـرواح)، تلـك التـي لـن نُقرنهـا عبثًـا بحـروفٍ أخـرى مآلهـا الفنـاء، سـنصنع منهـا قِبلـةً للـروح، تلـك التـي سـنُصادقها يومًـا ونقنعهـا بـأن تصـير سـفيرةً لنوايانـا بالخلـود.

سـنفتعل حرفًـا يُولـد مـن فعـل الاقـتران والالتصـاق، يُولـد مجسِّـدًا لتقـوس رحـم الحيـاة واسـتدارة قـرص الشـمسِ، محنـي بكامـل إرادتـه بانحنـاءةِ كهولـةِ الحكـماء ثـم يسـتقيم ليتقبلنـا عـلى سـطحه صاعـدًا نحـو التفـرد..

(الواو ألف)... (و ا)

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

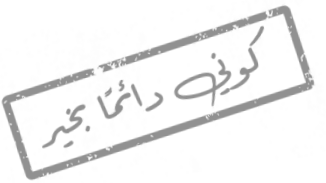

الرسالة التاسعة

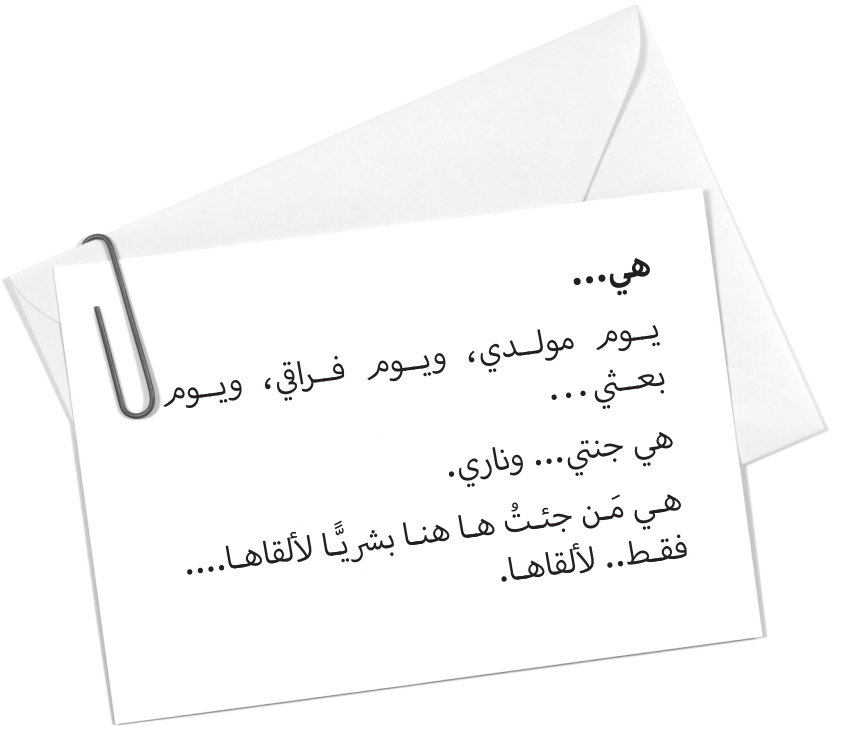

هي...

يـوم مولـدي، ويـوم فـراقي، ويـوم بعـثي...

هي جنتي... وناري.

هـي مَـن جئـتُ هـا هنـا بشريًّـا لألقاهـا.... فقـط.. لألقاهـا.

الرسالة التاسعة

السَّلام على كلِّ مَن تجرَّأ يومًا وتذكر يوم ميلاده... ثم احتفل.

السَّلام على كلِّ مَن تجرَّأ يومًا وتذكر حقه في الحرية... ثم ثار.

السَّلام على هؤلاء الذين وأدوا الفرحة من مهدها، حتى لا يأتيهم يومٌ بعقابٍ أكثر نفوذًا من فرحتهم، فارتضوا بالعيش بيْن بيْن.... لا لهم، ولا عليهم.

وإني باكيًا.. أحتفل..

عيدُ ميلادٍ جديدٌ....

أحتفلُ معكِ هذا العام بكل آيات الانتهاء والابتداء مجتمعةً، بانتهاء ذكريات الطفولة، وابتداء ميلاد الشَّعر الأبيض.

بنضج القلب أكثر، وبعشوائية العقل أكثر.

أحتفلُ بالفاجعة الأشد حين خسرنا الوطن، والهزيمة الأفدح حين خسرنا أنفسنا في غياباته.

نحن جيلٌ فُطِم على التبلد والتخلي وحين أبى وتمرد، اصطفَّ الجميعُ متفقين على إبادة حُطامه.

هل تعرفين يا رفيقتي؟

نشرتُ إبَّان وهم الخامس والعشرين من يناير إهداءً لأحد إصداراتي جاء من ضمن ما فيه :

" إلى جيلي الذي أشرُف بانتمائي إليه، معكم نُعاهد الوطنَ والتاريخَ أن نحترمَ مُكتسبات الثورة لنُجمل..

مُستقبل الأمة".

لم نحترم.... ولم نكتسب..... ولستُ أرى الآن مستقبلًا.... ولستُ أعترفُ الآن بأمةٍ.

أكتبُ إليكِ الآن في عزلةٍ من الجميع إلا من بعضِ الدموع التي تأبى وحدتي، مُتجبرةً تتردد على جدران الفؤاد، إلى أن تلمست صدق نواياها والألفة نحوها فصدَّقت على صداقتها ووهبتها قدسية مشاركتي كتابة الحرف من وراء العيون.

بالله عليكِ لا تحزني، ففي كل الأحوال لا بد وأن يبقى البعضُ منا متظاهرًا بالحياةِ، إلى أن يحين الحينُ فيتوجب الانتهاء.

سوف أمنحك الآن سبقًا لم يُفكر فيه مجنونٌ من قبل، لقد توصلت إلى النظرية الأكثر إقناعًا لممارسة الحياة والاحتفاء بالموت.

نحن لسنا أحرارًا، لم نُولد أحرارًا من الأساسِ، ولم نحيا كذلك، أو ننتهي.

مهلًا حبيبتي.. لا تتعجلي الحكم على الكلماتِ بوضعِها في آنيةِ الهذيان.

يا سيدتي.. لقد دُعينا للحياة، لنتعلم القدر الذي فُرض علينا ويُسر لنا.

ثم دُعينا للاعتقادِ، ثم إلى العملِ، ثم إلى التشاحنِ، ثم إلى الاقتتالِ، ثم إلى اليأس.

دُعينا إلى الثورة، ثم دُعينا إلى التخلي عنها.

دُعينا إلى الحب، ثم إلى تحويله إلى الحربِ بكافةِ دروب كراهيتها وملامحها.

دُعينا إلى الحياةِ اختصارًا، ومدعوون إلى الموت في كل وقتٍ، ولا نستجيب إلا إذا قُبلت استجابتنا اللاإرادية من الأساس.

ونأتي إلى الدعوة الأكثر تعقيدًا وكارثية.... لقد دُعينا إلى الحفاظ على استمرارية العبودية.. فتناسلنا..

كلنا عبيدٌ، وإن تظاهرنا بألف ألف مظهرٍ ولغةٍ وشكلٍ ومعتقدٍ.

ولا تعتقدي بأن الجلادين أحرارٌ... هم عبيدٌ مثلنا، مجلودون مقهورون مجبرون بألف شكلٍ وصفةٍ.

نحن في دوامةٍ دائريةٍ مُحكمةِ التعقيد، ومُعقدة الإحكام.

أعكفُ الآن يا ملاذي على التنقيب عن ذلك الثقب المُضطرم فراغًا والذي يُبقيني بعيدًا خارج تلاطم الأمواجِ الكئيبة.

لستُ موقنًا من وجودِ الثقب من الأساسِ، لكن ليس لديَّ ما أخسره على كلِّ حالٍ.

أعرفُ أن الكلمات هذه المرة مُفعمةٌ بالمرار، وأعرفُ أنكِ ربما لا تحتملين المزيد من اللون الأسود، وأعلم يقينًا أن نزيف اللون الأبيض الصافي أرهق قدرتنا على الاحتمال وربما الاستمرار.

وموقنٌ بأن الشيء الوحيد الذي قد يطفو بنا فوق تلال الموج المتناحر هو القلة القليلة المتبقية من الحب في دخائلنا.

بعضٌ من ذكرياتٍ نسطو على الأيام سطوًا لاقتناصها، نجترُّها في الحِقب العجافِ كالتي نتجرعها الآن، وإني إذ أبعثُ إليكِ الآن بتلك الرسالةِ المُشفرة، فقط لأخبركِ بما لم أفصح به قبلًا في واقعي أو على الورقِ.

لم أعد احتملُ المزيد من الهراء، عاملُ الزمن يتضاءل أمام إدراكي، أتحرر شيئًا فشيئًا من محدودية النظرة والاعتقاد، من فكرةِ التجنس أو الارتباط بأرضٍ من أساسها، من فكرة الحب المجردة والمنغلقة على شيءٍ أو شخصٍ أو كيانٍ.

إني أدعوكِ الآن إلى مفهومِ الحرية الأكثر شمولية، لنقتل معًا كل الأناشيد التي تعلمناها صغارًا، لنكفر بكل المسلمات التي توارثناها، لن نلتزمَ بعد اليوم بلغةٍ بعينها، ولن نحترمَ علم الحساب والفلسفة والأحياء، العلوم كلها في مخيلتي مجرد

تقنينٍ أعمى لمبرراتٍ جوفاء تُفسر ما تقاعسنا على إعمال العقل بكامل طاقته لتفهمه وتسخيره وتطويع وجوده لاستنباط السعادة.

نحن مصنعُ السعادةِ على الأرض، وأنتِ لي كل الأرض، وكل آلات السعادة على سطحها، دعينا نُتقن الاختلاف، لا نرتضي بالقليل، نطمحُ في كل الوقت بأن ننال حقنا كاملًا من الكون.

إنه عيدُ ميلادي الثامن والثلاثين، كم هو ضئيلٌ هذا الرقم في فهرسِ كتاب التاريخ وهوامشه، كم أنا قزمٌ تافهٌ في معادلة الحساب الكونية...

لكنني طفلٌ صغيرٌ صغيرٌ في واقعي، إذ بدأتُ التقويم لميلادي مُذ رأيتك للمرة الأولى، وبدأتُ التأريخ لحواسي حين لامستك وتشممتُ عبير النور الساطع من كل أرجائك.

وإني كهلٌ كبيرٌ كبيرٌ في واقعي، إذ انتهيتُ من كل الدنيا زهدًا وتشبعًا حين تعانقتْ شفتانا للمرة الأولى.

يا قبلة الابتداء، وضمة الانتهاء.....

كل عام وأنتِ في العمرِ ماضيه وآتيه.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامت للقلب هويةٌ.

الرسالة العاشرة

هي ...
مَـن اختـصرت النهايـاتِ وبدلـت معـنى
الخلـود إلى لحظـةٍ في القُـرب.

الرسالة العاشرة

السَّلام على الحُرية، السَّلام على الأمل، السَّلام على مبادئنا التي تسلبُ منا التحصُّن ضد الظلم بالاستكانة، السَّلام على طموح الغلابة ودموع الفقراء، السَّلام على زيف كلمة سلام في واقعنا.

السَّلام على الكلمةِ حين تصفُ الحقيقة وتلهثُ وراء الحق، السَّلام على مَن آمن بها وأعلنها ووضعها في جيوبِ البسطاء، السَّلام على السجن الذي تحرَّر من وراء آلاف القضبان ليسكن عقول وقلوب المُدجنين.

السَّلام على من أراد في هذه الأرض ولها وعليها خيرًا، ثم اتُّهِم بالخيانة أو بالجنون أو الجهل.

السَّلام عليكِ حين وقفتِ صامدةً شامخةً أمام السَّجان لتهتفي أمام أدوات الظلم "إن حبيبي أشرف وأشجع من سجَّانه".

وإني أكتبُ إليك من وراء جدارٍ، من خلفه جدارٌ، ومن أمامهِ ألفُ جدارٍ وجدار، وإني أتذكرُ الآن كل الشعارات التي قتلناها هُتافًا وقتلتنا غير آسفةٍ بسلبيةٍ باردةٍ، وأذكر الآن كل الوجوه التي رفعتنا فوق قاماتها وجباهها ثائرين مُرددين نداءات الاستقلال من العيش جوار الجُدُر، وهي ذاتها الوجوه التي تنصلت لنا وعاقبتنا باختفائِها خوفًا وطمعًا.

وإني مُشفقٌ عليكِ من الحياةِ في السجن الأكبر، لكم تمنيتك ها هنا في ملاهي الاستبداد الراقصة، فالزيفُ هنا واضحٌ بلا مساحيقَ للزينة، والتأويلاتُ هنا ما بين مُحرمةٍ ومكروهةٍ، والناسُ لا يلجأون لاستعمالِ الكذبِ، إيمانًا منهم بأن الكذب قد خُلق للنجاةِ مما هم فيه، أما وقد علقوا فيه وأُغرقوا، فليقتلوا الخوفَ بالصدق ويكتسبوا ثواب الصامدين من غير مكافأةٍ سوى شعورهم بأن شيئًا صحيحًا يزحفُ في ضمائرهم.

وإني أتذكرُ الآن كيف تعلمتُ منك تفاصيل الحرية، وكيف خجلتُ في بادئ الأمر من أن أخاف وبجواري ملاكٌ ثائرٌ في الحق قاهرٌ للخوف.

اكتشفنا المشهد معًا، وتلمسناه معًا....

عدْوٌ وراء الهدفِ، الأملِ، المطمحِ، الرقي أو الارتقاء، النور، الاتزان، راحة البال، الأمان، الحب، الحنان، تحقيق الذات، ضمانة المصير والمآل، رضا الرب.

عدْوٌ وبحثٌ وتنقيبٌ عن السعادةِ.

وطـنٌ يقـفُ في صـفِّ الأعـداء مُجـبَرًا (ربمـا)، أهلـه ينسـاقون وراء العتمـةِ خوفًـا مـن افتضـاح عوراتهـم في النـور.

جينـاتٌ محليـةٌ توارثتهـا أجيـالٌ مـن بعـد أجيـالٍ تحمـلُ بـين طياتهـا التجـبر عـلى الضعيـف، والرضـوخ للقـوي.

لا أستثني من ذلك أحدًا.

السعادةُ، طريقُ التنصل من نبت الجينات المتفرعنة.

السـعادةُ شـأنُها شـأنُ مصطلحـاتٍ عديـدةٍ تعلمناهـا صغـارًا في صفنـا النابـت، شـأنُها شـأنُ الكرامـة والوطنيـة والأخـلاق والصـدق والحريـة والـشرف والتاريـخ والتسـامح.

مصطلحاتٌ وجدناها تترعرعُ على صفحات الكتب وفقط.

ونحـن أُنـاسٌ لا يعرفـون ولا يعترفـون بالكتـب، فلـم نجـد تلـك المصطلحـات في واقعنـا مُعاشًـا أو حتـى مُتخيـلًا.

كيـف أنـتِ الآن يـا رفيقـة قلبـي وحـرفي وهُتـافي، كيـف أصبـح الوطـن بداخلـك، كيـف توازنـين بـين الغضبـة عـلى واقـعٍ لا ينتظـرُ مسـتقبلًا، والتـزامٍ بتلقـين الصغـار عشـقَ الوطـن ولـو كان كهـلًا مريضًـا، أو مجنونًـا.

كيـف لنـا أن نتـوبَ عـما اقترفنـاه في حقهـم حينـما قررنـا إنجابهـم ظنًّـا منـا بـأن قـادم الوطـن حُـر وعزيـزٌ، وكيـف لنـا أن نسـتغفر الـرب لهُتافنـا الرقيـق في آذانهـم يـوم مولدهـم "كـن حُـرًّا.. كُـن حُـرًّا".

وكيف لي أن أخرج إلى السجن الأكبر يومًا لألقاكِ؟

لا أظنني سأستطيعُ النظر إلى عينيكِ مرةً أخرى، أحدنا خدعَ الآخر، أحدنا لم ينصح الآخر، أحدُنا لا بد وأن يكفر بكل شيء، والآخر لا بد وأن يظلَّ مؤمنًا بكل شيء، حتى إذا صحَّ شيءٌ، وجدنا لصغارنا أي شيء.

الحياةُ هنا كاملةٌ تمامًا غير منقوصةٍ، أكتب بعيني على الجدران، أغتسلُ مما تبقى بذكرياتي من قُبلاتك الحانية، أضاجعُ الأفكار نهارًا لأنجبَ منها أملًا في سكونِ العتمة.

أحتسي الأيامَ بمرارةِ المريض المُجبر على ترياق الشفاء، والمتلذذ بلذةِ العقاب لكونه لم يستمع يومًا لنصائح العُقلاء في انتخاب أرضٍ حقيقيةٍ على واقعه يعيشُ عليها مُتخليًا عن كلِّ الأوهامِ الرنانةِ، والأحلام التي ثبت بالدليل التاريخي القاطع أنها لا تتحقق... فقط تسحقُ كلَّ من يُجاهد لأجلها.

يا حبيبتي الصديقة، إن وصلتك مني رسالتي هذه، فاعلمي أني كافرٌ بكل ما تعاهدنا عليه، واعلمي أن قلبي الذي عشقك يومًا في تلابيبِ الوطن، وارتوى مع قلبك بالأحلام والأمنيات، قد صار حيًّا إكلينيكيًّا، لا نبض فيه ولا رجاء منه.

كلُّ الثوابت خارت، وكلُّ التطلعات تأقزمت، وصارت أكثر أحلامي شططًا وجنوحًا وغرابةً، أن أعيش بهدوءٍ، وأن أموتَ بهدوءٍ، وألا أعشق أبدًا... أبدًا.

لا تتسرعي في الحكم على رجلٍ اعتاد المهانة وتمرَّس عليها حتى إنها لم تعد تُخيفه أو تنال من كبريائه، لا أظنكِ ستكونين سعيدةً إن استمر حبك رباطًا يلصقك بإنسانٍ سابقٍ.

وإني واهبكِ الآن ذريعةً أسطوريةً لتتخذي قرارك دون تفكيرٍ أو تأويلٍ أو تأنيب قلبٍ أو ضميرٍ.

إني هنا أهتفُ في باحة السجن الأصغر كل صباح بحياة الملك، وأدعو مع كل صلاةٍ لتوفيق الملك، وأتمادى في السُّباب مع كل مناسبةٍ فيمن يكرهون الملك.

إني هنا أنظف كل صباح مكتب سجَّان الملك، وأُلمِّع حذاءه كل صباح ومساء، وأصنع له القهوة المُعتقة التي علمتني صُنعها في ليلة عشقٍ تاريخيةٍ.

إني هنا أنظمُ الشِّعر مديحًا في قراراتِ الملك، وأكتب خطبة الجمعة لتمجيد وتأليه الملك، وأحترمُ رجالاتِ الملك وأشكرهم على إبقائي حيًّا بعيدًا عن التنكيل بأعداء الملك.

الحياةُ الهانئةُ ها هنا يا صديقتي السابقة تعني أن تعيشي دون موتٍ، أو أن تموتي دون حياةٍ، أو أن يتساوى عندك الأمران.

أظنك الآن قادرةً على اتخاذ القرار، أو تقبل القرار، ساعدتك كثيرًا... أليس كذلك؟

فقط لأني ما زلتُ أحبك، ولا أريد لكِ كثيرًا من الحيرة.

لا تُطلعي صغاري على هذه الحروفِ، مهما كان.

أخبريهـم أني قُتلـت في اشـتباكاتٍ قديمـةٍ مـع أسـلحة النظـام الفائـت، أخبريهـم أني أحببتُهـم، وأني أراهـم مـن بعيـدٍ، وإني اتخـذتُ كل قـراراتي لأجـل أن يبقـوا عـلى قيـدِ الحيـاة إلى اليـوم الـذي يسـتطيعون فيـه تفهـم رواياتـك عنـي.

يـا أسـطورة حيـاتي الحيـة، يـا رمـزَ العنفـوان النابـض بالحقيقـة، يـا كلَّ مـا تبقـى لي مـن حلـمٍ أبيـض، أتوسـل إليـكِ بـكل اللحظـاتِ الحلـوة، والكلـماتِ الحلـوة، والتجـاربِ الشـاقة الحلـوة، والنضـال البِكـر والهتافـاتِ الحلـوة، ألا تكرهينـي إلى الحـد الـذي إن قابلتـك يومًـا في مصادفـةٍ كونيـةٍ، تتبرئـين مـن وجهـي تمامًـا.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقية.. ما دامتْ للقلب هوية.

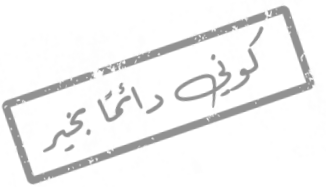

الرسالة
الحادية عشرة

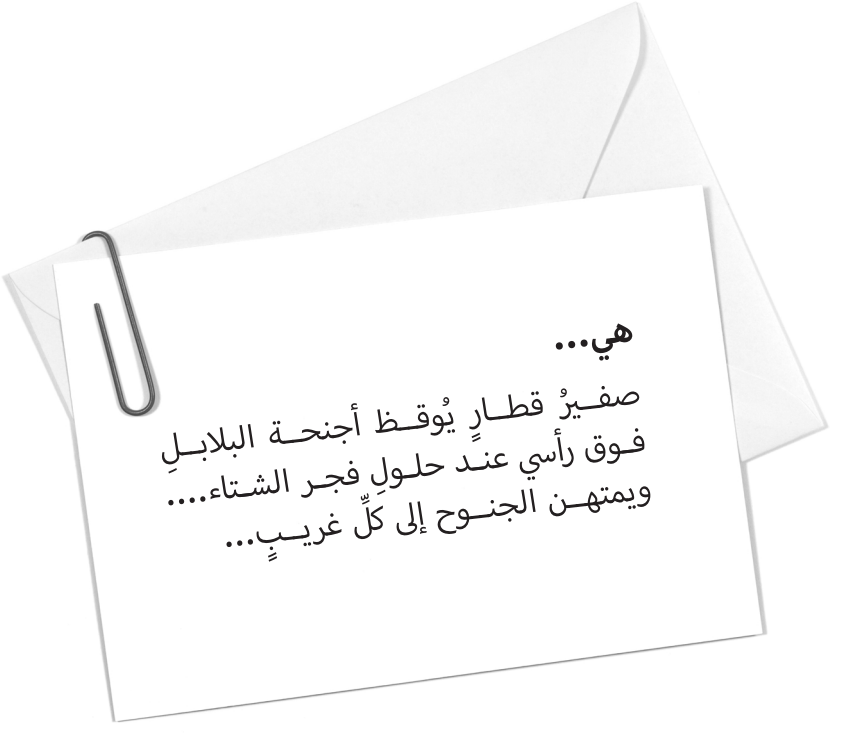
هي...
صفـيرُ قطـارٍ يُوقـظ أجنحـة البلابـلِ
فـوق رأسي عنـد حلـولِ فجـر الشـتاء....
ويمتهــن الجنــوح إلى كلِّ غريــبٍ...

الرسالة الحادية عشرة

السَّلامُ على الكون المُنمَّق بعشوائيةِ الإبداع على قسماتِ جسدك، السَّلام على خرائط الطبيعة التي أنتِ خطوط حدودها فاصلةً بين العتمة والنهار، بين السَّماءِ والجبالِ، بين الموجِ وقرينه، وبين كل شيءٍ وحبيبه.

السَّلام على الشعورِ الذي تملكني حين اللقاء الأول، بأن من أحب دون أن يراكِ فإن عشقه منقوص، ومن امتهن الجمالَ دون أن ينظركِ فإن إبداعه فقيرُ الجمال.

وإني يا حبيبتي أحببتُ الكثيرات، وعشقتُ القليلات، وارتبطتُ بالجميلاتِ ارتباطي بحروفِ الأبجدية، حتى إني ظننتني عالمًا في شئون قلوب النساء، وحين رأيتكِ أيقنتُ صدق ما قاله ضمنيًّا علماءُ السماء بأن الجمال ليس يبدأ وليس ينتهي، فقط يتجلى حين نستعد للفرحة.

وإني راجعتُ كل تاريخ العشق في ذاكرتي حين أيقنتُ أنكِ حقيقةٌ كائنةٌ، وقررتُ أن أرتدي زي الباحثين عن الحقيقة.

كيف عشقتكِ هكذا دون أن أدري، ودون أن أهربَ، ودون أن أخجلَ، ودون أن أتعجبَ، ودون أن أواري صيحاتي بأني عاشقك.

قررتُ أن أخترع جهازًا لكشفِ الحب، يُخبرني مَن كان عشقه وهمًا ومَن كان حُبه خيالًا.

لا تتعجلي، فلربما أردتُ فعليًّا أن أتيقن من حبي لكِ أنتِ، أن أتحرر من هواجس تنتابُ القلب بين دقةٍ وما تلاها بأن العشقَ مُهرجٌ كبيرٌ في سيرك التجاذب بين الأرواح، يتنقلُ ما بين الخيال ليقفزَ كل ثُوينة على حبلٍ جديدٍ يقوده إلى فرحةٍ جديدةٍ أو حتى وهمٍ جديد.

اختراعي لا يحتاجُ إلى أبحاثٍ متقدمةٍ ومبتكرةٍ، إذ إن الجهاز موجودٌ فعليًّا، لكنه غير معروفٍ ولا منظور.

كل ما فكرتُ فيه، كيف أقنع ذلك الجهاز العبقري بالتجلي والإفصاح عن ماهيته وموقعه وتأثيره، وقبل كل شيءٍ وبعده، لا بد لي أن أكتشف كيف حالُ العاشق بروحهِ من دون جسده، الآن الآن، لا بد وأن أصلَ إلى الحب في مادته الخام اللاحيوانية، قطعًا يا عزيزتي، الأمرُ مُتعلقٌ بالروح، وقطعًا سبقني آلافُ الآلاف في البحثِ عن ماهيتها وحقيقتها، ولكني كما تعلمين عني، ولستُ أظنك تعرفين، فإني لا أعترفُ بثوابت، ولا أفقه

المُسلمات، كل ما يجذبني إلى الحياة هو فعلُ الاكتشافِ، غير المُنتظر، غير المنطقي، المجنون المُتجنن إن صح التعبير.

رأيتُ الروحَ رائحةً، ورأيتُ الجسدَ قنينتها المُتعاقبة، والروح لا نراها، إذ تتوارى أمام العطر الآدمي المُختلق، تحجبُ أريجها لتُفسح المجال للزيفِ المُتهالك الموقوت، لتحتفظ بشبابِها آلاف الآلاف من الحيوات.

اعلمي يا صديقة قلبي بأننا اخترنا العيشَ دون أرواحنا، لأكثر من تسعة أعشار أعمارنا، ذلك أننا عادينا فطرتنا ولم نستطع إقناعها بالتزاوجِ مع تأملنا وآمالنا.

لكني رأيتُ الروح، أجل، أجل، رأيتها...

أعرفُ أنك تتلهفين لمعرفة تفاصيلها، والتعرف عليها ورؤيتها إن أمكن.

وأعرفُ أن الكلام هزلي، يُعده البشريون في مُجمله تنميقًا لسطورِ الأوراقِ الجافة، أو على أفضل تقديرٍ، خللٌ دماغي، وخلخلةٌ عقائديةٌ، أو جنونٌ لا يستحق، ولا يحتملُ النظر إليه أو التعقيب عليه.

لكنكِ ستتحملين، وتقرئين، لأنكِ عرفتِ قبلًا بأني أمتلكُ في وجودك جوازًا بالمرور إلى كل شيءٍ، وعبر كل شيءٍ.

إني اكتشفتُ الروح عبر حاسة الشم، نظرتها في رائحة الجنين لحظة المرور من عالمٍ إلى عالمٍ، ومن حياةٍ إلى حياةٍ، ومن رحمٍ إلى رحمٍ.

يُمكنكِ الآن تُعقبها والتلصص على الآلاف منها، مع كل صرخةٍ جديدةٍ لمولودٍ جديدٍ، إنها رائحةٌ تمزجُ في تكوينها خليطًا من عطور الجنة والحياة والعشق، وقطرةً مُصفاةً من أريج الرب، تشتَّتت وتوزعت كخاتمٍ إلهي على أرواحِ هذا الكون وربما كل الأكوان.

قفي يا عطر روحي على حافة وليدٍ حديثِ العهد بالهواء، وتلصصي الشمَّ من كل مسام جنبات جسده، وارو دخائلك قدر ما تستطيعين من نهم التحقق، وتشبثي بذاكرة الرائحة في أحشاء قلبك وعقلك.

واعلمي إنها بدايةُ الحقيقة، واعلمي أنها تتخلى عن الرضيع يومًا فيومًا، بفعل تجاهلها وإهانة قدسيتها بمزجها بسوائلنا العطرية البشرية التي تُعجل من استقدام الفناء أو الانتهاء.

واعلمي أنها تظل مُتشبثةً بأجسادنا قدر ما تستطيع من مقاومةٍ لجهلنا، حتى أنها لا تنتهي من أعماقنا، إلا أنها تختفي تمامًا تمامًا لحظة الوداع والمرور إلى عالمٍ آخرَ جديدٍ، فتظهر مرةً أخرى لتُشرق من جسدٍ جديدٍ، بكاملِ عنفوانها، ورونقِها، وأُبهتها المُقدسة.

وإني تطرفتُ قليلًا، فجردتُ رضيعًا من كل ما علق بجسده من قطراتٍ سائلةٍ، تمامًا لحظة انفصاله عن كونه المُستدير، إلى كونه الجديد المُتصندق، وعبأتها في قنينةٍ أسطوريةٍ جاذبةٍ، مُفرغةً تمامًا من الهواء بداخلها.

ووضعتُها في مُختبري، على منضدةٍ بيضاويةٍ، قابعةٍ أمام نافذةٍ تُطل على بحرٍ، من وراء حوافه جبلٌ، على جانبيْه غروبٌ وشروقٌ يتعاقبان، ومن حوله نبتٌ كثيفٌ لصبَّارٍ مُتلهفٍ للعشقِ الأصيلِ.

جلست أمامها مباشرةً، أشاهد ما لم ينتبه قبلي بشرٌ ليُشاهده، إنها أخيرًا أمامي، أو جزءٌ منها على أقل تقدير، قدسيتها تجتاحني بالإيحاءِ، ورهبة التفكير في مكنونِ الحدث أنساني ذكرك يا حبيبتي للمرة الأولى في عشقي.

حدَّثتها قليلًا، سألتُها كثيرًا، وتضرَّعت إلى الرب أن يمنحني سرَّها، فداهمني النُّعاس، وظللتُ نائمًا ما بين ليلةٍ إلى ألفين، وانتبهتُ لذاتي مُستفيقًا على صرخاتِ ريحٍ، واستنجادات موجٍ، ودموع سماءٍ ماطرةٍ، ونباح كلبٍ لستُ أدري من أين جاء.

وبحثتُ عنها فلم أجدها، اللهم إلا قنينةً أسطوريةً جاذبةً، مُهشمةً جوانبُها، تفتتت جدرانُها إلى حبيباتٍ زجاجيةٍ لا تُرى منفردةً بالعين المُجردة، تشكلتْ على سطح المنضدة على هيئةِ عينٍ بشريةٍ فارغة.

تعاظمتْ ظنونُي....

إنها روحٌ حقيقيةٌ، وإلا لماذا هربت؟ ولماذا انزعجت الفطرةُ وتأوهت الطبيعة؟ ولماذا تغيبتُ أنا عن المشهد؟

أيقنتُ أن الروح ليست تتقيد، وليست تعرف الاستكانة، إلا في جسدٍ ينبضُ عشقًا.

وأيقنتُ أيضًا أنها تغدو ذهابًا وإيابًا من خلال العين وعن طريقها.

وأراكِ تتساءلين عن علاقةِ كلِّ ما سبق باختراعي الجديد...

سأخبركِ سرًّا عظيمًا يجمعني بكِ منذ اللقاء الأول، أني شممتُ رائحة الأجنة حين احتضنتك، وهذا يكفيني لأثبت وجود الحب، وأقيس مداه.

انقلي عني يا رفيقتي اكتشافَ عاشقٍ مُتفكرٍ:

"مَن رأى منكم رائحة جنينٍ تنبعثُ من محيطِ إحداهن من وراء ستار، فليعلم بأن جهاز كشف الحب بدأ عمله لتوه، وبأن مؤشر العشق بينه وبينها يستحضرُ روحين كامنتين في مخبئِهما الجسدي حتى تتعانقا فرحتيْن بميلاد العشق، ذلك الذي تطرب له السماوات، وتقتات الطيور المُغردة على وجودهِ حتى تستمر دون انقراض".

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.

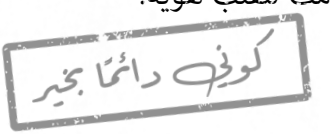

الرسالة
الثانية عشرة

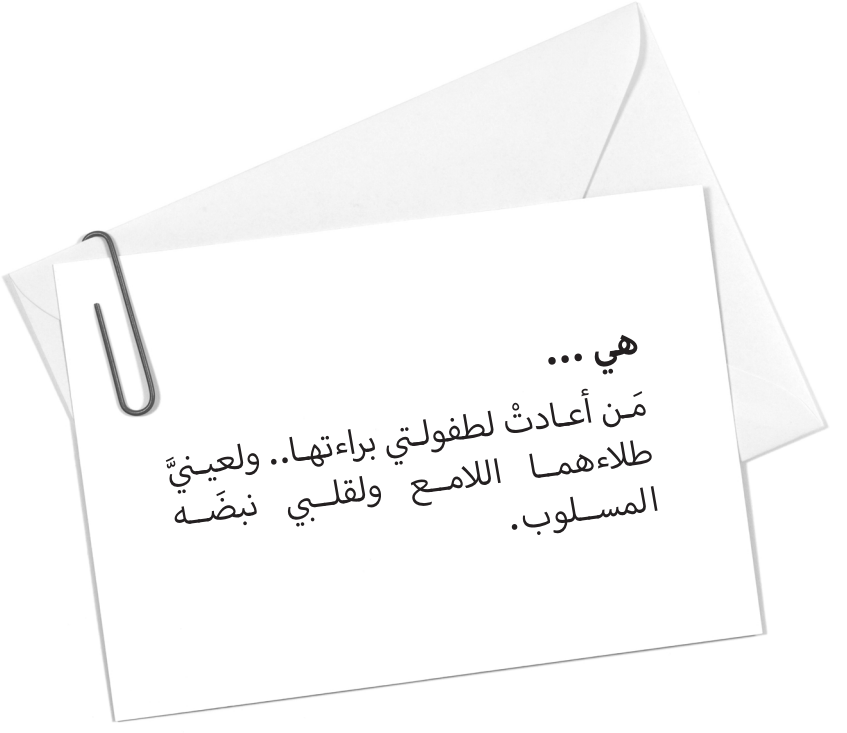
هي ...
مَـن أعـادتْ لطفولـتي براءتهـا.. ولعيـنيَّ
طلاءهمـا اللامـع ولقلـبي نبضَـه
المسـلوب.

الرسالة الثانية عشرة

السَّلام على الإله الواحدِ، السَّلام على مَن خلق ذرات القلب المُضطربة، على مَن جعل ترياقها دمًا يفورُ ويتجدد، السَّلام على الهواءِ لا نراه، وعلى النور لا نتلمسه، وعلى الحبِّ غير منظورٍ ولا محسوسٍ، فصارت قدسيته في أن الإيمان به من فعل تدبر أثره، تمامًا كما آمن الإنسانُ بوجود الرب.

وإني أمتطي الآن طائرةً تُطل على الأرضِ من بعيدٍ بعيد، تجوبُ دروبَ السماء في أُبهة الواثق، ظننتني في بادئ الأمر أقتربُ من الله أكثر، وأبتعد عنكِ أكثر، ولما رأيتُ السماء تتباعدُ من قبلها سماوات ومن بعدها سماوات، ولما رأيتُ الأرضَ تأقزمت بفعل عمقِ الابتعاد، رأيتُ الحب كائنًا يتكاثرُ في حيزه الكوني، إذ تتعملقُ الذكرياتُ والصناديقُ المُعتقة المُعبأة بالنبض العاشقِ المُخزَّن بيننا، لتصنع عوالم حقيقيةً لا ينقصها سوى كونٍ مُنفردٍ متفردٍ بحجم كل قلبٍ عاشق.

هـل أخبرتُـكِ قبـلًا بأنـكِ تُشـبهين لحنًـا إفريقيًّـا نافـرًا، هـل أخبرتُـكِ قبـلًا بـأني أحـترمُ الطبلـة الإفريقيـة، تلـك التـي تقـتربُ مـن طبيعتنـا بأكـثر مـما تحلـم بقيـة مسـببات النغـم في كوننـا، ذلـك أن الأرض، كل الأرضِ طبلـةٌ كبـيرة.

نسـتطيعُ الـدقَّ عـلى الأشـجار، عـلى الجـدران، عـلى أسـطح الأبـواب والآلات، عـلى النباتـاتِ العملاقـةِ، حتـى بطوننـا تمتهـن الموسـيقى الإفريقيـة حـين نمـزح عـلى سـطحها بعـد وجبـةٍ دسـمةٍ ومـاءٍ وفـير.

الطبلـة يـا موسـيقاي هـي مصـدرُ الإيقـاع الوحيـد الـذي لا يحتـاجُ إلى صنيـعِ البـشر لـكي يتأجـج.

أنـتِ طبلـةٌ إفريقيـةٌ عريقـةٌ، تُغـرد بصيحـاتِ العشـقِ الزاعقة في غابـاتِ السـماء الضبابيـةِ، هكـذا تخيلتـكِ مُبتسِـمًا بينـما أُحـدق من نافـذةِ الطائـرة محـاولًا اخـتراق الغيـب مـن فوقـي ومـن تحتـي، كوَّنـت مـن حـدود التقـاء السُّـحب خطوطًـا حقيقيـةً ارتسـمتها أمـام عينـي، ورأيـتُ الخطـوط ترسـم ملامـح وجهـكِ عـلى سـطح بطـن السـماء، وتمنيـتُ لـو أطلـت مـد أناملـي لأُطـرب السـماوات بلحـنٍ غجـريٍّ قـادمٍ مـن غيابـات ثـورةِ عاشـقٍ.

آآآآآآآآآآه يـا كل ألحـانِ الموسـيقى العبقريـة في ذهنـي، هـل كنـتُ أحتـاجُ لأن أُعـادي الريـح لآلاف آلاف الأميـالِ حتـى أشـعر بافتقـاري إلى الحيـاةِ مـن دونـك، ولافتقـارِ الآدميـة إلى الطمأنينـة والأمـان مـع كل فعـل هجـرٍ أو فـراقٍ.

يـاااااا أيتهـا الرائعـة حـين تضحكـين وحـين تصرخـين وحـين تتألمـين، تنامـين، تُقبِّلـين، تسـتيقظين، تأكلـين، تعزفـين، وحـين تُعاتبـين، تكتبـين، تقرئـين، تهمسـين، وحـين تطهـين الجـمال طهيًـا، تُلاعبـين القطـط، تُمازحـين جامـع القمامـة، تصنعـين كوبًـا مـن القهـوة المُعتقـة، تُشـجعين فريـقَ الكـرة الإسـباني المُفضـل، وحـين تغتابـين النسـاء الأقـل جـمالًا، تُداعبـين جبـين الـورود، تُمشـطين خصـلات الشـجر الحريـري فـوق رأسـك، تُبارزيـن السـماء بالدعواتِ الصامتـةِ، تُشـاهدين أفـلام الضحـك الكرتونيـة عـلى التلفـاز، وحـين تُبدعـين نصًّـا جماليًّـا لأدبٍ قصـصي يأتيـكِ وحيُـه مـا بـين عقـدٍ وضُحـاه.

يـاااا أيتهـا المُلهِمـة المُلهَمـة وأنـتِ تُواريـن ابتسـامتك العاشـقة الآن بينـما تسـتمعين أو تقرئـين رسـالتي.

هل اعترفتُ لكِ قبلًا بأني أتهرب من الظهور أمام الناس برفقتك؟

مُتفهمـةٌ أنـتِ لغـروري وتحترمينـه، وتعرفـين أني لا أرتـضي بـأن أكـون ثانيًـا أو وصيفًـا، فكيـف أرافـق مَـن ينتبـه النـاس لوجودهـا أكـثر مـن انتباههـم لوجودهـم.

أنـتِ جميلـةٌ أكـثر مـما يسـتحق الجـمال، ورائعـةٌ في كل شيءٍ، إلا مـن شيءٍ وحيـد... إنـكِ لا تكترثـين كثـيرًا لرسـائلي، لا تقرئيهـا كـما يجـب أن يسـتقبل معشـوقٌ أريـجٌ عاشـقه، تؤصلـين للهجـر ليسـتمر القلـم في نزفـه، تعلمـين جيـدًا أن الرسـائل لا تنبـت مـع الوصـل،

وأن القلم لا يخط حرفًا لحبيبةٍ تُشاركه وسادته، فقررتِ الخلود على السطور، زاهدةً في الخلود على فراشِ القلب.

يا مصنعًا للعطر المُصفَّى، ذلك الذي يُميز الروح ولا يتميز عنها، لا أخشى على كليْنا من بُغض الهجر بعد الانتقال إلى العالم التالي، فعطرانا سيتقابلان حتمًا ليعُدوا عُدة لقاءِ أبدي بين روحيْن.

أتعرفين؟ لقد مررتُ بأعجب لقاء منذ سنواتٍ على تلك الأرض التي أطير إليها الآن.

قابلته عجوزًا غير مُكترثٍ لصقيع ثلجِ "كانون الثاني" الروسي، يحتمي بقلعةٍ ملونةٍ كألوان بيوت الأساطير، أخبرني هامسًا بإنكليزيةٍ ركيكةٍ "ستكونُ سيد أرضك".

قطعًا لستُ أعتقدها نبوءةً، ولم أتخذها على محملِ الجد، وحتمًا أنتِ لن تُخبري الحاكم بهذه التفاهات، ولكني سأصدقكِ القول، إني أحترمُ الخيال، وإني من أعظم مُريديه، فكان لزامًا غرس مقولة العجوز في أرضِ الخيال الخصبة، لتنمو زُهيرةٌ من عبثٍ، يتحول مع نضج الخيال إلى وهمٍ، ثم ربما إلى إمكانيةٍ وربما إلى إعجازٍ خياليٍّ حصري.

ولستُ أدري يقينًا ما الحكمةُ القدريةُ لجعلي أسافر مرةً ثانيةً لتلك البلادِ البعيدةِ، وسوف أصدقكِ القول إني أنتوي زيارة البيت الملون مرةً أخرى، نعم... نعم...، سأبحثُ عن

العجـوز، سـأخبره أشـياء اختزنتهـا في خيـالاتي لسـنواتٍ، وعكفـتُ عـلى إنمائهـا فقـط لأحيـا دون ملـلٍ.

هـل تعرفـين؟ لقـد جعلـتُ منـكِ سـيدةً أولى، نعـم... نعـم... أنـتِ أنـتِ السـيدة الأولى.

ولِـمَ لا، فأنـتِ أول مـن ارتجـف القلـب فرحـةً لعشـقها، أنـتِ أول مـن تذوقـت معهـا طعـم الشـعور بـأن الحيـاة ربمـا كانـت مُبهجـةً في بعضهـا، أنـتِ أول كلـمات الحـب ومُنتهاهـا، أول النـور وآخـر العتمـة، أول عنقـود السـماء الواصـل بينهـا وبـين الأمنيـات وبـين العاشـقين، أول حـروفِ الأبجديـة وتعريفهـا بألـوان التجـلي، أنـتِ يـا حبيبتـي أول الخيـال وآخـر الوهـم ومُبتـدأ الوحشـة للفـراق.

لقـد وجدتـك في الحلـم المُصطنـع المُتكـرر تجلسـين جـواري عـلى عـرشٍ يتوسـط بهـو القـصر المُلـون، تنتعلـين فـوق رأسـك تاجًـا مـن نـورٍ يتـلألأ، تبتسـمين بثقـة الجميـلات مـن الملـكات، تصفـين البسـطاء عـلى جانبـيْ العـرش فـوق أرائـك وكأنهـا عـروشٌ مُصغـرةٌ، تتقاسـمين معهـم أُبهـة الجـمال والملكـوت.

تكتبين على عقولِ الصغار... "العدل... العلم.... القوة..... بالحب".

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامت للقلب هوية.

كوني دائمًا بخير

الرسالة
الثالثة عشرة

هي...
ذكرياتُ الضحك... أداومُ تدوينها في
برديـاتِ الطفولـةِ.

الرسالة الثالثة عشرة

السَّلامُ على الموسيقى، غناء السماء وبوْح الأرض. السَّلام على ترانيم الحُلم الدنيوي الباهتِ المُباغت، السَّلام على الفناءِ الحتمي المخلوق عمدًا لأجلِ ميلادِ الخلود.

السَّلامُ على عقلانيةِ العشقِ وجنون العاشقين، على استلطافِ العين للجمال، واستحسان القلب للنور، ومصادقة العين للون الأبيض.

السَّلامُ على قيمةِ القُبح وعمقِ العتمةِ، واختراق اللون الأسود لكامل مكنونِ الذكريات والتاريخ.

السَّلامُ على نظرةِ العين للعين انبهارًا وتجاذبًا، رباطًا إنسانيًّا يتقدس لأجل أن يمنحها الخلود في فناء ناظرها.

وإني يا سيدة القلب....

خائفٌ من الحنينِ، من الألمِ، من الأرقِ، من كوابيس تخترق الغفوة، من نواحٍ على فقد.

مُشفقٌ عليَّ من تراتيل الأمل، من سحاباتِ الدموع، من شعورٍ بالندمِ، من جَلدِ ذاتٍ مفرغةٍ من ذاتِها لذاتِها.

أشتاقُ إلى حبٍّ جديدٍ،عشقٍ قديمٍ، مقارنات بينهما في الخفاء لا ترقى لأن تحيا كالكلمات.

أتطلعُ إلى نورٍ على حافةِ الورقة، يتوغل في عمقها، يفتعلُ الحياة في الحرف الوليد باستقطابِ النبضِ من انبهار العين.

ألفظ قيدًا يُكبل ما بين العقلِ واللسانِ واليديْنِ والقدميْن ويترفع عن اعتقالِ العين والأذن الأنف والفَرج؛ قيدٌ يعرف تمامًا توظيف قوته.

أُعاني من نزفِ شرخٍ عتيقٍ، على جدارٍ يُواجه تابوت النوم، تشَّرب دماء الوجع ونظرات التأمل في حضرةِ القهر والمرارة عبر السنين حتى بات يُشكل مع كل إفاقةٍ تفصيلةً جديدةً لملمحٍ جديدٍ لمعنى يتراقصُ غامضًا، فصار تشفيرُه كتفسيرِ الأحلام وتأويل الرموز.

أتردد في اختلاقِ الحلم، وربما رهبةً من استجدائهِ؛ فالحلم إذا استحال صار كابوسَ حياةٍ.

أمتلكُ حيرةً بحجمِ السراب، وطموحًا بامتدادِ اللانهاية، وحنينًا للفجورِ يتحطم على عتباتِ تأمل النهايات.

أتشبثُ بطفولةٍ في القلب تقتاتُ من فُتات التجاعيد على ملمسِ الوجهِ، تسقيها دموعُ القُرب من الفناءِ، وخلودًا على السطور لا يجدُ من ملمحٍ للخلودِ سوى التدرُّع بالصامدين في مهبِّ الزيف.

أمتهنُ وقتيًّا زحفًا حثيثًا خلف فعلِ الاكتشاف، مصير الاختلاف وأثر الصمت على السُّكون.

اللهم إلا بعضًا من فقرِ العقلِ، من ركودِ الدم، من جمودِ الحُلم، من يأسِ الأملِ، من تفحُّم الكرامةِ، مِن هوان النفس وذبول الحلولِ.

اللهم إلا بعضًا من جليدٍ أسود يتساقط على عتباتِ الحزنِ...

أعكفُ حاليًا لجمعهِ لأصنع منه تمثالًا لليل الشتاء.

اللهم إلا أنا..... ودموعي...

وعفوًا .... كراسة رسم أحتفظ بها منذ عقودٍ، رسمتُ على صفحةٍ فيها وجهًا وحصانًا وسيفًا ورايةً..

ونقشتُ في قاعِ براحها عنوانًا ونشيدًا.

غير هذا وذاك أؤكد لكِ أني لم أعثر على شيءٍ آخر يسبحُ الآن بأحباري، سوى رجائي لكِ بأن تتجلي لي في كل وقت، أن تمنحيني بوجودكِ القوة بأن أحاربَ كل تلك الأفكار والمتاهات العقلية المُريبة.

امنحينـي صـكًّا بالنجـاةِ، فقـط حتـى أسـتمر في عشـقك مـن بعيـد.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

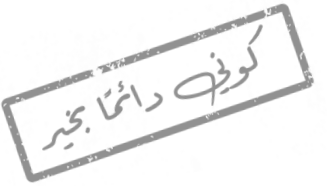

الرسالة
الرابعة عشرة

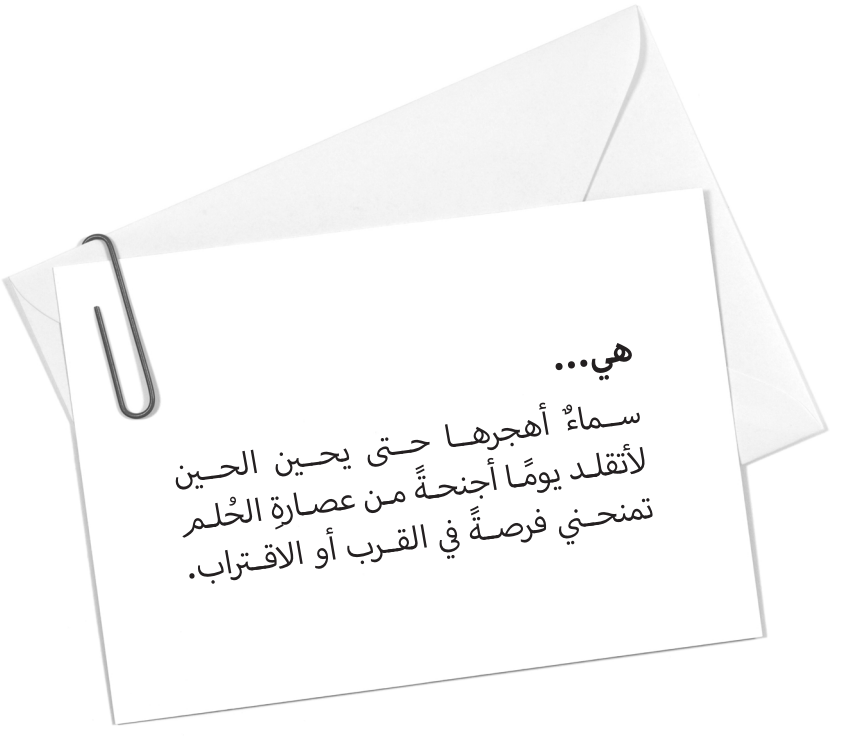

هي...

سـماءٌ أهجرهـا حـتى يحـين الحـين
لأتقلد يومًا أجنحـةً مـن عصارةِ الحُلـم
تمنحـني فرصـةً في القـرب أو الاقـتراب.

الرسالة الرابعة عشرة

السَّلامُ على بريقِ الأملِ الصامد رغم كل هذا الزخم من الانهيارات.

السَّلامُ عليكِ يا جزءًا أصيلًا مُتجذرًا فيما تبقى من صمودٍ.

السَّلامُ على المُبهجاتِ الصامداتِ في وجهِ القُبح.

وإني نافذٌ إلى أحشاء الحياة، أُناجي أملَ الخلاص ليتمثلَ للناس بركانًا من نورٍ يحرقُ الزيف والظلم والضبابية المُغلفة بقهرِ الحب.

وعندما تتزاحمُ الدوافعُ والأسبابُ ومتاهاتُ الفِكر، وتتملكني رهبةٌ ليست تعني الخوفَ، وبسمةً ليست تعرفُ الفرحة، ودمعةً تُجهضها بقيةٌ من تطبع بناموسِ المُحيط، أنتعلُ الذهولَ، وأمتطي بعيني وجوهَ الناس.

الحيرةُ منهم وفك شفرتِها على وجوهِهم.

في كلِّ خطوةٍ حكاية.

لوحـةٌ تجمـعُ بـين واحـدٍ وظلـهِ، أو واحـدٍ وآخـر، أو جمـعٍ يتجانـسُ في بعضـهِ ويتنافـرُ كل الوقـت.

لوحـاتٌ تتلـوَّن بلـونِ الطيبـةِ وأخـرى بلـونِ الـشر وأكثرهـا بلـونِ القهر.

شـوارعُ ككراسـةِ الرسـم التـي عشـقتُها صغـيرًا بينـي وبينـي، وكرهتُهـا بينـي وبـين النـاس.

أسـيرُ فيهـا متأمـلًا ممشـوقَ العـين، فرِحًـا بحضـارةِ الأوراقِ البيضـاءِ، وبياضُهـا هـو كل تاريـخِ حضارتِهـا.

فعندمـا لا تسـتطيعين يـا حبيبتـي تشـكيلَ حضـارةٍ بذاتـك فكـوني دومًـا في نقـاءِ جاهزيـةِ التلقـي.

وجدتُنـي مُتطلعًـا باشـتياقٍ لأن أرسـمهم، أمنحهـم وجوهًـا بتضاريـس صمـودٍ تمنيتهـا في وجهـي، وحناجـر تهتـزُّ لزئيرهـا جلـودُ الطبـول.

قمةُ الأنانيةِ..... أعلم.

أردتُ أن أمنحهـم ملامـحَ أكـثر شـجاعةً، أُلونهـم بألـوانِ القيمـةِ والثبـاتِ والعـزةِ.

أردتُ أن أصـيرَ فارسًـا عـلى قمـةِ النـصر، أقـودُ الجيـوشَ بفرشـاةٍ أسـتلها عـلى وريقـاتِ كراسـةِ رسـمٍ.

أسترد عليها العشق..... والوطن، أُصلي للرب على ملمسها صلاةً تتقاسُمها شعائر كل الأديان.

أكتب على جنباتها كلمة عدل..

أُحرر فيها لقمةَ العيشِ وأهب المطحونين حدَّ الكفاف، أحكم بالحق، وأمنح كل المرسومين الحرية.

أرفعُ جباه الناسِ لتعتلي حدَّ السَّحاب، أنقشُ بكل خطوط العربِ والعجمِ حروفًا تتشابكُ لتصنع معنىً أكثر قيمةً مني ومن الحرفِ ومن الورقةِ والفرشاة.

الفرشاة تكحل الـ (لا).... في وجهِ السواد...

وتزين الـ (نعم).... في وجهِ الحب...

أين السَّوادُ؟ وأين الحب؟

السَّوادُ في الظلم والحب في العدل؟

عفوًا.... السوادُ فينا والحب فينا وعلبة الألوان تقطن ذراتنا.

نحن مَن ننتخب الألوان لتفاصيل حياتنا، ونحن مَن نقبلها أو نُعرض عن أيٍّ مما في أحشائها.

أحتاجُ لآلافِ الآلافِ من كراساتِ الرسم..

أحتاجُ لتدوينِ ملايين الملايين من الضحكاتِ والدمعاتِ والصيحات.

أحتاجُ لتأريخِ نبضِ الثائرين، استفاقة المغيبين وتمرد المُكبلين وضعفاءِ الحاجة والعوز.

أعتذرُ منكِ إن كنتُ تجاوزتُ حدودَ اللياقة في حضورِ الجمال المُصفَّى، أعتذرُ منكِ إن تململتْ كلماتي زاعقةً في حضرةِ البراءةِ الساكنة.

وأنتِ يا سعادتي، كل المُبهجات الصامدات في وجهِ القبح.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.

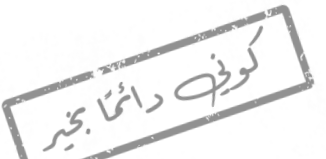

الرسالة الخامسة عشرة

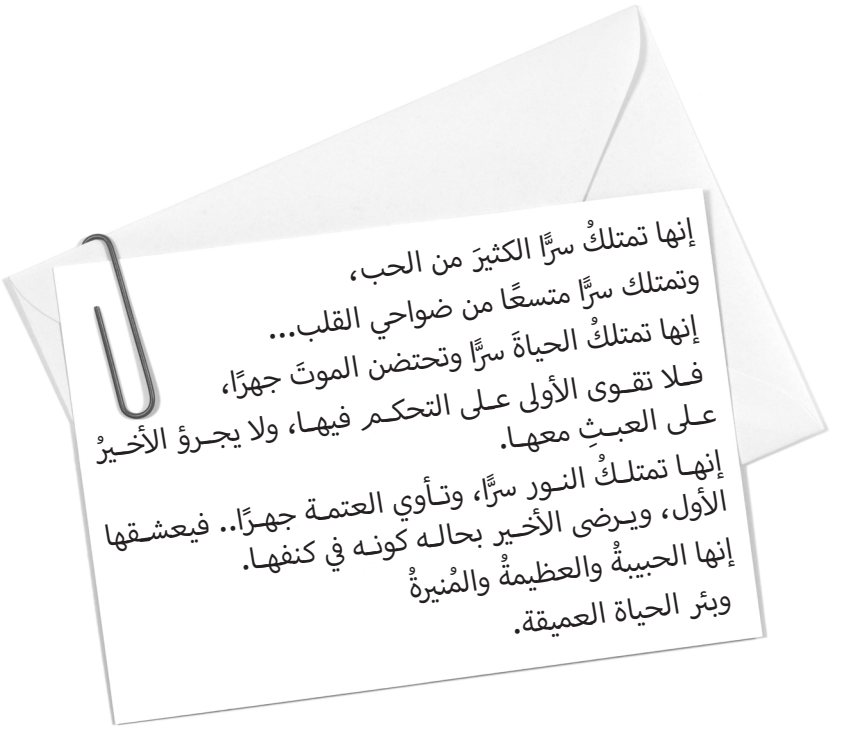
إنها تمتلكُ سرًّا الكثيرَ من الحب،
وتمتلك سرًّا متسعًا من ضواحي القلب...
إنها تمتلكُ الحياةَ سرًّا وتحتضن الموتَ جهرًا،
فلا تقوى الأولى على التحكم فيها، ولا يجرؤ الأخيرُ
على العبثِ معها.
إنها تمتلكُ النور سرًّا، وتأوي العتمة جهرًا.. فيعشقها
الأول، ويرضى الأخير بحاله كونه في كنفها.
إنها الحبيبةُ والعظيمةُ والمُنيرةُ
وبئر الحياة العميقة.

الرسالة الخامسة عشرة

السَّلامُ على الصعاليك وأنا منهم، هؤلاء الذين يُحولون عشقهم لأداةٍ من أدواتِ التقرب للعبث، كقربانٍ للتودد للوحدة، كمغناطيس جاذبٍ للتعلق بالأشياءِ والتفاصيلِ التي لا يلحظها العوام.

وإني أهوى العشوائيةَ في اختيار أساليب العيشِ، في التجول بين المقاهي والطرقات.

أنتفضُ من وهم الشوارع قاطنة الأوراق..

أهرول في الطرقاتِ الحيةِ... أنتخبُ الليل ليكون دليلي، أعتذرُ للسماء على التأخير، ألمحُ كما اعتدتُ منذ صغري قلمًا يستديرُ مع اكتمال القمر في منتصف السماء.

القلمُ لا يزال على وضعيتهِ منذ أن وعيته أول مرةٍ، ينحني راكعًا في خشوعٍ للرب، بينما يدَّعي العُلماء أنه صخورٌ متجاورةٌ.

أقسمُ أنه قلمي، تدمع عيناي حينما ألقاه، وعقلي وقلبي يخرَّان رُكعًا سُجَّدًا بينما تتصعلك قدماي في الأرجاء، والحياة عندي يا معشوقتي ليست كما تتوهمين، دائمًا أنظرُ للأمام حتى أستطيع الالتفات في الوراء لحاضري، فأراه بعين التقييم لا التعايش.

أجلسُ هناك علي الرصيف.....

لا تسأليني سؤالًا لا يليقُ عن هوية الرصيف.

الأرصفةُ هي الأرصفة، حُراس الشوارعِ ونُظار العيان على هوان الناس وصعلكة الضمائر.

أنظرُ حينًا في مستوى خط إبصار عيني جالسًا، أتفحصُ أقدام المارة.. تلك التي تشكلت مركباتٍ إراديةً أحيانًا، ولا إرادية أحيانًا أخرى.. تجاه العبث أو الفناء.

أقدامٌ تمتهن التعامل مع الأرضِ حتى تُتيح الأمل لعقولٍ توجهها أن تستكشف جدوى وجهتها من أخبار السماء.

*****

لمحتُ قدميْه..

باليتيْن في هِرم مومياوات الأجداد، ملطختين بدرجةٍ من سواد الصدأ.

والصـدأ يـا سـيدتي صِنـفٌ مـن صنـوفِ المـوت، شـأنُه شـأنُ الذبـول، شـأن التفحـم، شـأن الركـود والاستسـلام.

في الواقـع كل مـا سـبق قـد يكـون فعليًـا صنفًـا مـن صنـوفِ اسـتجداء البقـاء.

زوجٌ آخـر مـن السـيقان يقـتربُ، الـزوجُ يرتـدي بنطـالًا يمتهـن السـواد، يـشي برغـدِ السـعي، ويـدب عـلى الأرض بحـذاءٍ مـن جلـدِ البـشر يُظهـر بفخـارٍ جـبروتَ السُـلطة.

لسـتُ أدري هـل توقـف أمـام الباليتـين عمـدًا أم أن هنـاك مـا أجهلـه في أعـلى حيـزِ إبصـاري دفعـه لتوقفـه.

لحظـاتٌ وتحـوَّل المشـهدُ إلي عِـراكٍ في سـاحةِ وطءِ الأقـدام، شيءٍ شـبيهٍ بالبصـقِ كان مـن نصيـبِ الصـدأ.

تلاه ازدراءٌ، تحرشٌ، ركلٌ من جانبٍ وصراخٌ من آخر.....

حتـى الصـدأ لم يسـتطع أن يقهـرَ الألم أو أن يقنعـه بـألا يُزاحـم المـوت.

سـيقانٌ عاريـةٌ إلا مـن أنوثتهـا تُزاحـم عينـي في مصبهـا، تُهيـل الـتراب عـلى الصـدأ.

يحتضنها زوجُ البنطال الأسود ليقيها بعثرة التراب على عريها.

فـم الصـدأ يقـتربُ مـن حـذاء الجـبروت، يتوسـل مُقبـلًا تـراب نعليْـه.

والحـذاءُ ينهـر وجهـه ركلًا، والصـدأ يُعـاود الاسـترضاء، والحـذاء يُعـاود ركل الفـم والوجـه والصـدأ.

وأنا أنظرُ للوجهِ المسحوقِ.. أبكي.. وأبكي..

أصرخُ فيـه... "كفـاااك"، لا تهـنْ، ارفـع فمـك، أنقـذ وجهـك، تدثـر بمـا بقـي مـن صـدأ الحيـاة أو تقبـل المـوتَ كامـلًا.

أصرخُ في الجـبروت... "كفـاااااااااااك"، تقبـل اسـترضاء المـوت، ارحـم، اغفـر، تحـت صدئـهِ جسـدٌ كجسـدِك، في فمـهِ الزاحـفِ عـلى نعليـك لسـانٌ كلسـانك، في سـمائِك وسـمائِه ربٌّ يُمهـل ولا يُهمِـل.

هل أقتحم العراك؟

ولكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ هل أقتل الجبروت؟

هل أنقذ الوجه المقهور بحمله إلى أعلى حيز الإبصار؟

هـل أُزيـح الصـدأ مـن عـلى السـيقان لأمنحهـا أمـلًا جديـدًا في امتهـانِ صفـةٍ أخـرى للحيـاة بـدلًا مـن مرادفـاتِ المـوت؟

هل أمزحُ مع الجبروت؟ أم أناطح السلطة؟

ومـاذا إن كان الصـدأ مُخطِئًـا؟ ربمـا غـازلَ سـيقان فتـاةِ السـلطة العارية؟

وقاحةٌ بكلِّ تأكيدٍ.

ولكـن لمـاذا لا يُغطـي الجـبروتُ سـيقان فتاتـه حتـى لا ينهشـها الصـدأ؟

مهلًا حتى ولو كان الصدأ مُدانًا، ألم نتفق قبلًا على أن الصدأ صنفٌ من صنوفِ الموت؟

هل ستعذبون الأشباح؟

هل ستعتقلون الموت حتى تقتلوه؟

جلستُ للحظاتٍ على أريحيتي المُسبقة في التعامل مع السيقان، ولكني الآن لا أقوى على الاكتفاء بدورِ الخشب الراكد والماء المتفحم.

لا بد وأن أستقطب أنفاسًا من عبقِ الحياة، لا بد وأن أُقنعني أني لستُ قدمًا بلا وجه، أن أتذكر أني بشرٌ.. وللبشر عيونٌ كما أن لهم أقدامًا.

حملتُ قدميَّ بعينيَّ، ربما تحملني لوطء الأقدام محل النزاع.

أرى قدميَّ لأول مرةٍ في حياتي، يصفعني الواقعُ.

قدماي صدئتان بلونِ الباليتين..

انزويتُ متفحمًا ذابلًا راكدًا مستسلمًا، إلى أن ظهرتْ بقربي ساقان عاريتان رأيتهما لتوِّي، العاريتان تنزعجان من مظهري الصدئ، تُبعثر الترابَ على وجهي.

فتنهال بغتةً عليه بصقاتٌ وركلاتٌ من ساقيْن تلتحفان بنطالًا بلونِ القهر، ترتديان حذاءً من جلد البشر..

فانحنيتُ بفمي مُقبِلًا حذاءه مُسترضيًا.

ولا تـزال بعـضٌ مـن دموعـي مخلوطـةً بلعـابِ الاسـترضاء عالقـةً على ملمســهِ.

فلنُبقـي الأمـر برمتـهِ سرًا عميقًـا ككل الجـروح العميقـة التـي تقاسـمناها ولا نـزال.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.

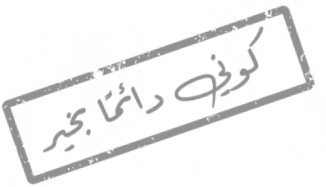

الرسالة
السادسة عشرة

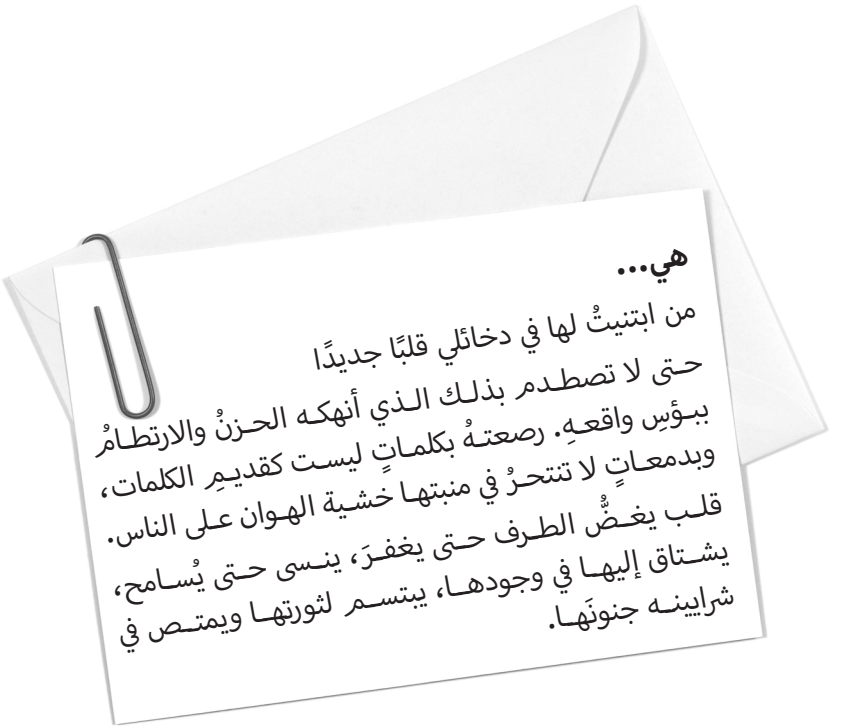

هي...

من ابتنيتُ لها في دخائلي قلبًا جديدًا
حتى لا تصطدم بذلك الذي أنهكه الحزنُ والارتطامُ
ببؤسِ واقعهِ. رصعتهُ بكلماتٍ ليست كقديمِ الكلمات،
وبدمعاتٍ لا تنتحرُ في منبتها خشية الهوان على الناس.
قلب يغضُّ الطرف حتى يغفرَ، ينسى حتى يُسامح،
يشتاق إليها في وجودها، يبتسم لثورتها ويمتص في
شراييِنه جنونَها.

الرسالة السادسة عشرة

السَّلامُ على فعلِ التخلي، على ثقافةِ الاستغناءِ، على النفورِ من التعلق بقلبٍ راحلٍ لا محالة.

السلامُ على هؤلاء الذين امتلكوا مصائرهم بعقولهم، فقرروا عداوتهم للحب.

وإني مُستمر... أحاول أن أستمر.

رغمًا عن كل ألوانِ الوجع، رغمًا عن كل الأحلامِ المُهدرةِ، رغمًا عن إدمان الإصابةِ بآلامِ الحب الكئيبة.. فإني مُستمر.

وضعتُ إستراتيجيةً جديدةً لتعاطي الحياة، أول بنود قاموسِها الزُّهد في التعلق بما تلوَّن يومًا بصبغةِ الفناء، ولأن الحياة ذاتها أكبر رمزٍ للعدم، من قبلها عدمٌ، ومن بعدها عدمٌ، فقد قررت أن أتعامل معها بقوانين النفعية والانتهازية المكيافيلية الرديئة،

لا مجال للاستسلام لنظرياتِ الخيالِ الضمنية عن خلودِ فعلِ الحب أو مظهرية الجمال ومسبباته.

أفكرُ جديًّا في ابتكار قالبٍ/ أسلوبٍ/ مصطلحٍ جديدٍ للعشق، سوف أراعي فيه عدم اعتماده كليًّا على المتعة، ربما يتكئ في معظمهِ على مفهومِ الجمال المُسبب لأنواعِ التمتع حتى ولو كان زائلًا بالحتمية.

فالتعلقُ بالجمالِ أفضل كثيرًا من التعلقِ بالجميل.

يا جميلتي... مهلًا لا تنفري من الكلمات الآن، تحملي شرودَ القلب المُصفَّى من دمائه، شاركيني فعل التجريب حتى مع إمكانيةِ الفشل الأرجح، ترفعي عن مفاهيم الامتلاك الزائفة، لأنه وببساطةٍ لا يوجد امتلاكٌ حقيقي على أرضِ الحياة.

سأعترفُ لكِ الآن بأني بدأتُ منذ وقتٍ قصيرٍ بداية رحلة العلاج من غريزة الامتلاك البشرية.

سوف أصلُ إن نجح الدواء إلى تقبل الاستمتاع بوجودِ الجمال في ذاته، ودعمه إن امتلكت مقومات إنمائه حتى تتسعَ بقعةُ أثره على مَن يُؤمن بالجمال الجمعي.

أعترفُ أن لقاءنا الأول كان نموذجًا مثاليًّا لأعراضِ الأنانية المُفرطةِ في امتلاك الجمال بكلِّ ألوانِ الأنانية الآدمية المتعارف عليها.

يومها رأيتُ الجمال في عينيكِ نورًا سماويًّا مُهذبًا يسطعُ على استحياء من نتوءاتِ جبلٍ ساحلي لحظة شروقِ شمس الشتاء الخجولة.

رأيتُ الجمال على شفتيكِ المُغتربتيْن يُلهب ذراتِ الهواء الفاصلة بينها وبين الناس حين تُقرر منح الجمال قبسًا من التعريفِ بأسرارِ ما وراء السماوات.

رأيتُ الجمالَ في خيوطٍ من حريرِ أشجار الجنة تُزين رأسكِ وتدعوا المؤمنين لتذوق خيال مكافأة الإخلاص للتوحيدِ والاعتقاد.

رأيتُ ملمحًا للسعادةِ حين ابتسمتِ، وملمحًا للخلودِ حين التقت عينانا لثوينةٍ أو أقل، رأيت وجهكِ مطبوعًا على صفحةِ عينيَّ حين نظرتني في المرآة صبيحة اللقاء الأول فأدركت لحظتها بأنكِ رسالةٌ، وبأنكِ مصباحٌ، وبأنكِ مكافأةٌ.

يا مكافأتي على التنقيب عن الجمالِ، سأبحثُ عنكِ في حضورِ كل نساءِ الأرض، فقط لأمنح الخلودَ للجمال قدر خلودي بالحياة.

إني قررتُ أن أتعامل مع اللانهائية بمقدارِ الحضور وفقط، لا يعنيني ما كتبه كتابُ التاريخ الثرثار قبلًا ، وليس يعنيني ما سيخطُّه بعدي، يعنيني فقط تأريخي الشخصي لخلودي، وإن كان ساعةً، فالزمنُ مُسخَّرٌ لما نعتقدُ ونظن وليس لما نتخيل ونحتسب.

لا ألومـكِ إن ظننـتِ بـأني خائـنٌ للعشـق يتلاعـبُ بالكلـمات ويُطوعهـا بحثًـا عـن تزيـينٍ وتنميـقٍ لمفاهيـم الخيانـة.

رفقًـا يـا صانعـة الخلـود، فمـبرراتُ الخيانـة متجسـدةً بوضـوحٍ في قواميـس البـشر الدارجـة، يمكننـي الرجـوع إليهـا واقتبـاس الملائم منهـا في أي وقـتٍ مـن دون الاجتهـاد في التفكـر أو المراوغـة، كل مـا أسـتطيع أن أعـدكِ بـه، أن تكـوني حبيبتـي ومنجـم الجـمال الأوحـد لقلبـي إن تقابلنـا بعـد الفنـاء الأول والميـلاد الثـاني.

سـوف أسـتقبلكِ هنـاك بأسـطوريةٍ تليـقُ بـالأرواحِ الباعثـةِ عـلى الجـمالِ، سـوف أجمـعُ لأجلـكِ كل ورودِ الـروح وكلـماتِ الغـزل وثنـاءات العشـق، سـأمنحكِ مقطوعـةً جديـدةً لموسـيقى لم يألفهـا الآدميـون، تجعـل مـن الإدراك الضمنـي المُحتجـب بدخائلـكِ حِزمـةً نورانيـةً مـن سـعاداتٍ كبـيرةٍ ممتـدةٍ، تصـلُ مـا بـين العـوالم، فتمنـح الأرضَ، كل الأرض، نصيبَهـا مـن الجـمالِ والسـعادةِ والحـب.

يـاااااااااا كل الأمـل في سـعاداتي بعـد الفنـاء، امنحينـي وعـدًا روحيًّـا باللقـاء هنـاك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هوية.

الرسالة
السابعة عشرة

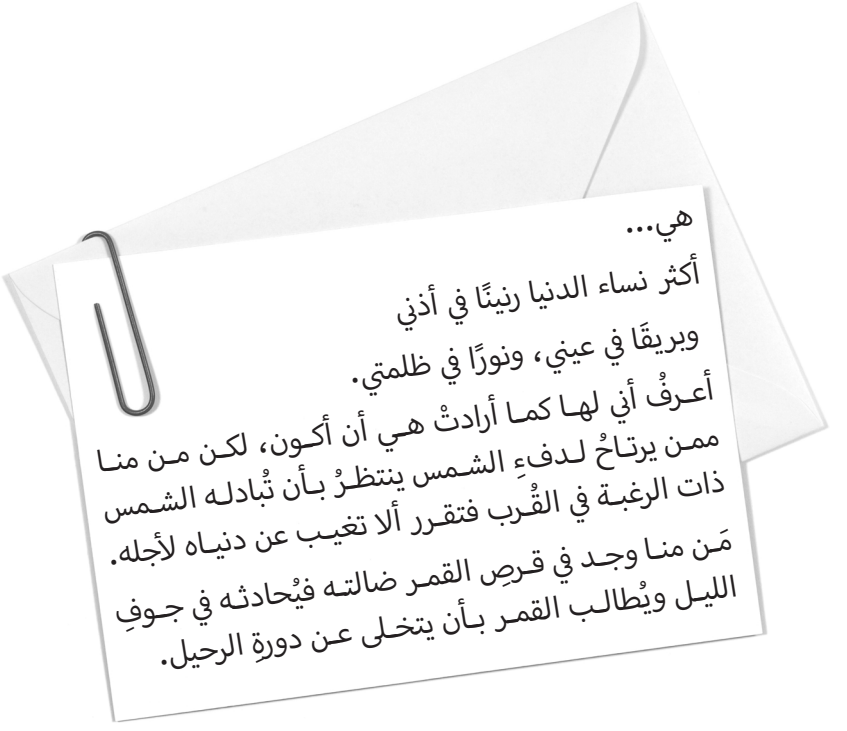

هي...

أكثر نساء الدنيا رنينًا في أذني
وبريقًا في عيني، ونورًا في ظلمتي.

أعرفُ أني لها كما أرادتْ هي أن أكون، لكن من منا ممن يرتاحُ لدفءِ الشمس ينتظرُ بأن تُبادله الشمس ذات الرغبة في القُرب فتقرر ألا تغيب عن دنياه لأجله.

مَن منا وجد في قرصِ القمر ضالته فيُحادثه في جوفِ الليل ويُطالب القمر بأن يتخلى عن دورةِ الرحيل.

الرسالة السابعة عشرة

السَّلامُ على كل مَن قرأ حرفًا من رسائلي. السَّلامُ على مَن تحمَّل قعقعة الحروفِ وبهرجة المعاني.

السَّلام على من تفادى الملَلَ آملًا في التقاط أنفاس قلبٍ مُعطلٍ. السَّلامُ على كل حماقاتِ العاشقين، وكل بذاءات العاشقين، وكل نداءات العاشقين، وكل الذكريات، وكل القُبلات، وكل الوداعات، وكل الأقمار والشموس والنجمات التي تُشرف على رسائل القلوب الأديبة.

السَّلامُ على النقاط الملونة، والألِفات واللامات المُعنْوِنة، والفتَحات والكَسَرات المُهذِّبة، واللاءات المانعة، والواوات العاطفة.

السَّلام على حروفِ اسمكِ، حرفًا حرفًا يا بهية الحرف، وعينًا عينًا، يا جميلة العين.

وإني أُعلمكِ يا عزيزتي بأني ما زلتُ على سذاجتي القديمة، لم أبرحها ولم تبرحني، أتذكر جيدًا وعدي لكِ بإنهاء علاقتي بمفهوم الوطن في قلبي على نحوه السابق، وأن أتحرر تمامًا من كلِّ القيود التي كبلونا بها صغارًا لنُقدس أرضًا لا تُدرك أننا على سطحها من الأساس، ونحتفل بصناعةِ الموت فقط لأننا لسنا ضحاياه اليوم... اليوم فقط.

لقد وجدتني مُتلبسًا بالبكاء لحظةَ سماعي مُصادفةً أغنيةً قديمةً من تلك التي ارتجفت لها خلايا جسدي لعقودٍ، حينما كنا نتغنى بعشقِ الوطنِ وانتصارِه وخلودِه في القلوب، كيف لي الآن أن أقتنعَ بالتفاخرِ بالنصر في حروبٍ تُعيق الإنسانيةَ عن مسار الحب.

كيف لي أن أستمر كذلك في الاعتقاد بأن نصفَ سكان الكوكب أعدائي حتى أستطيعَ أن أحيا في وطنٍ مُستقلٍّ.

هل عليَّ أن أصرخَ في العالمين بحقيقةٍ غابت عن قلوبهم، أن الأرضَ لا تزال باقيةً بفضل توسلات الحب لأجل بقائنا؟

الحبُّ يستيقظ كل صباح مناجيًا الرب بأن يُمهلنا ألفيةً جديدةً، فما زال بيننا عاشقٌ، ولا يزال الحبُّ حيًّا وإن علَّت صحته.

وإني عاشقٌ للحبِّ فيكِ، والحبُّ- يا مُنجيتي- زادُ الحياة ومُسببُ البقاء، وإني أرانا جزءًا من وقودِه يقتاتُ عليه ليحتفظ ببقائهِ من أجلِ توسلاته لبقائِنا.

لنحاربَ معًا من أجل إنماء الحب بين الناس، فكلما تعافى الحب تقلصت الحروبُ، وانزوت العصبياتُ، وطغى مفهومُ الإنسانية على مُصطلح الوطنية.

نحن نملكُ السلاح يا فارستي، دقاتُ قلوبنا سلاحٌ، فعلُ الحنين والاشتياق سلاحٌ وإعلانٌ صارخٌ لسلام الأرواح.

فلنصنعْ من قلبيْنا سفينة نوحٍ جديدةً تطفو فوق كل أمواج آثام البشر، الكونُ يكفيه زوجٌ وحيدٌ من قلوبٍ عاشقةٍ للحب، ولنفسها، ولأليفها، حتى يضمنَ استمرار بقائه حينما يحين الحين.

لننقذ الدنيا بثباتنا على لهفتنا للنجاة، ورغبتنا في خلودِ العشق، وإيماننا بحق الجميع في خوض غماره بديلًا عن غمارِ الحروب.

أظنكِ تُوافقينني بأنه ليس من المنطقي أن يقتل البشر مستقبلهم، ويُعادون فطرتهم عمدًا، ويُعجلون نهايةً قادمةً لا محالة، لجهلهم بطريقةِ إدارة الحياة العاشقة.

لنُدير الكون من نواتنا الضئيلة، لنبتنِ للكون كعبةً جديدةً للخلاص، وقِبلةً نولي قلوبنا شطرها مع كل خفقةٍ حقيقيةٍ وتنهيدةٍ صادقةٍ.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

كوني دائمًا بخير

الرسالة
الثامنة عشرة

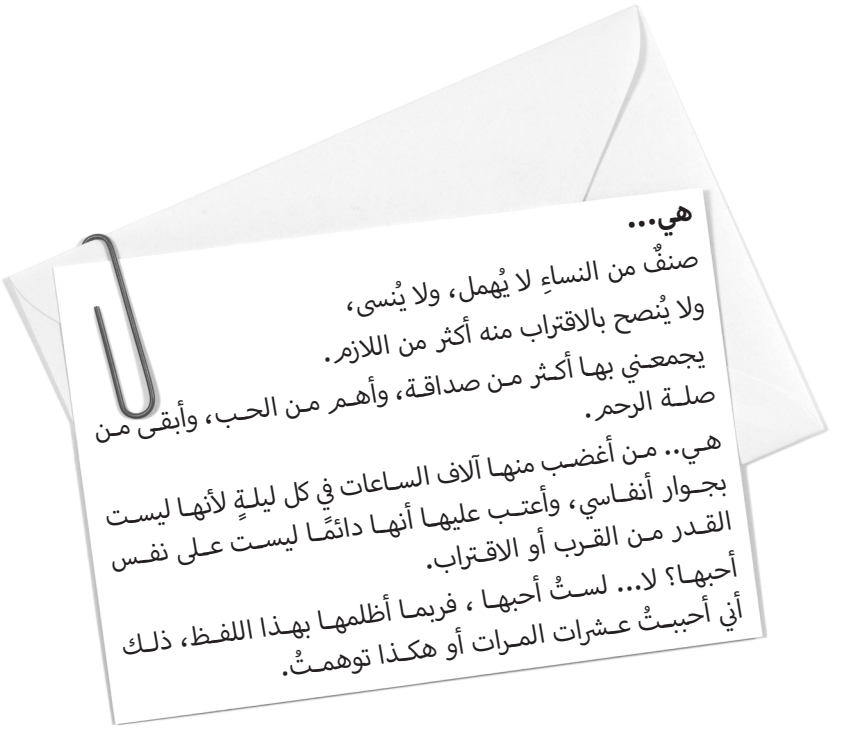

هي...

صنفٌ من النساءِ لا يُهمل، ولا يُنسى،

ولا يُنصح بالاقتراب منه أكثر من اللازم.

يجمعني بها أكثر من صداقة، وأهم من الحب، وأبقى من صلة الرحم.

هي.. من أغضب منها آلاف الساعات في كل ليلةٍ لأنها ليست بجوار أنفاسي، وأعتب عليها أنها دائمًا ليست على نفس القدر من القرب أو الاقتراب.

أحبها؟ لا... لستُ أحبها ، فربما أظلمها بهذا اللفظ، ذلك أني أحببتُ عشرات المرات أو هكذا توهمتُ.

الرسالة الثامنة عشرة

السَّلامُ على الأحلام... تحوي بين جنباتها حيواتنا السابقة، وتختزنُ في قاعِها حيواتنا الآتية.

السَّلامُ على عالمِ النوم الغامضِ، نحياه دونما عمدٍ منا أو إدراكٍ، نحتفلُ في معيته بصيانةِ العقل اليومية، وتُكافئنا فيه السماء أحيانًا بممارسةِ اللامعقول، واللامُفترض في واقعنا.

السَّلام على إعجازِ الخالق المُتجدد في أجسادِ عباده بأن يُميتهم كل ليلةٍ، ليبقى القلبُ وحيدًا نابضًا في انتظار مباشرةِ العشق.

السَّلامُ على الليل الساتر المُستتر، عاشقِ الحب وخليلِ العاشقين، من وراء عتمته يستمتع المُحبون بجنونِهم، والقتلة بخلودِهم.

وإني رأيتكِ في منامي.

رأيتـكِ غريبـةً، مـن دون مسـاحيق التجمـل التـي عهدتُهـا في طبيعـةِ تكوينـك، ومـن دون وشـم الـبراءة المحفـور عـلى تفاصيـل ابتسـامتك.

رأيتُـك رماديـةَ العينـين، حائـرةَ النظـرة، تبتسـمين دون سـعادةٍ، وتُعانقينـي دون وحشـةٍ.

كنـتُ عاجـزًا عـن تحريـك لسـاني، حاولـتُ سـؤالكِ عن مسـبباتِ هيئتـك المُريبـة لكنـي عجـزتُ تمامًـا... تمامًا.

ابتسـمتِ لحظتهـا بعنفـوانِ القـارئ للأفـكار، قبلتينـي، مـن رأسي، في وجهـي، تعمَّـق لسـانُكِ عابثًـا في كهفـي العاجـز عـن الكلام، منحتينـي الـبركات الملعونـة بتلـذذ مـذاقِ الجسـد المُندهـش.

كنـتِ تلتهمينـي كأننـي وجبتُـكِ الأخـيرة، وكنـتُ أتلقـاكِ بسـلبيةِ العاجـزِ عـن الفهـم، العـازفِ عـن المُتعـة.

لسـتُ أدري لمـاذا كنـتِ مُغمضـةَ العينـيْن بينـما تقتاتـين بمـا تبقـى مـن شـفتي، ولسـتُ أدري كيـف أدركـتُ مـا يجـولُ بآهاتـك.

كنـتِ تتخيلـين رجـلًا غـيري، تُعانقينـه في بـراحِ عتمـةِ مـا وراء أبـواب البـصر، تحتسـين جسـده عـبر دروبِ التخيـل، تسـتخدمينني كدميـةٍ جنسـيةٍ مُهـداةٍ إلى عشـيقك الغائـب، ولسـانُ حالـك يكـرر مـن دون صـوتٍ:

"إني أنتقم منك... فيك".

صرختُ في وجهكِ، تجمَّدت يداي حول عنقك، طلبتُ منكِ أن تنظري إليَّ، أن تنفي ما تراءى لتخيلي، أن تقصي عليَّ قصة قُبلةٍ أنتشي بصدقِ تفاصيلها.

منحتُكِ دهرًا لتُحبيني، ولم تجتهدي برهةً لإنهاء إغماضة عينيكِ، فقررتْ يداي احتضان عنقكِ أكثر، فأكثر، فأكثر.

لقد قتلتكِ يا حبيبتي.

كم أعشقُ الأحلام....

انتزعتُ الغطاءَ الفاصلَ ما بين الحلم والواقع، استيقظتُ مفزوعًا أردد النداء الزاعق بحروفِ اسمك، وجدتكِ كما عهدتكِ في هذا الوقت من التاريخ، تنامين جواري في وداعةِ الملائكة الذين لم أرهم قبلًا، ولستُ أدري لماذا أظنهم كذلك، تُعانقين عُنقي بأناملكِ الناعسة.

فطلبتُ منكِ أن ترددي جملةً واحدةً حتى ولو كنتِ غير مستيقظةٍ تمامًا:

"إني أحبك يا....."

وأجبتني دون استيقاظٍ:

"إني أحبك"..... وفقط.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

كوني دائمًا بخير

الرسالة
التاسعة عشرة

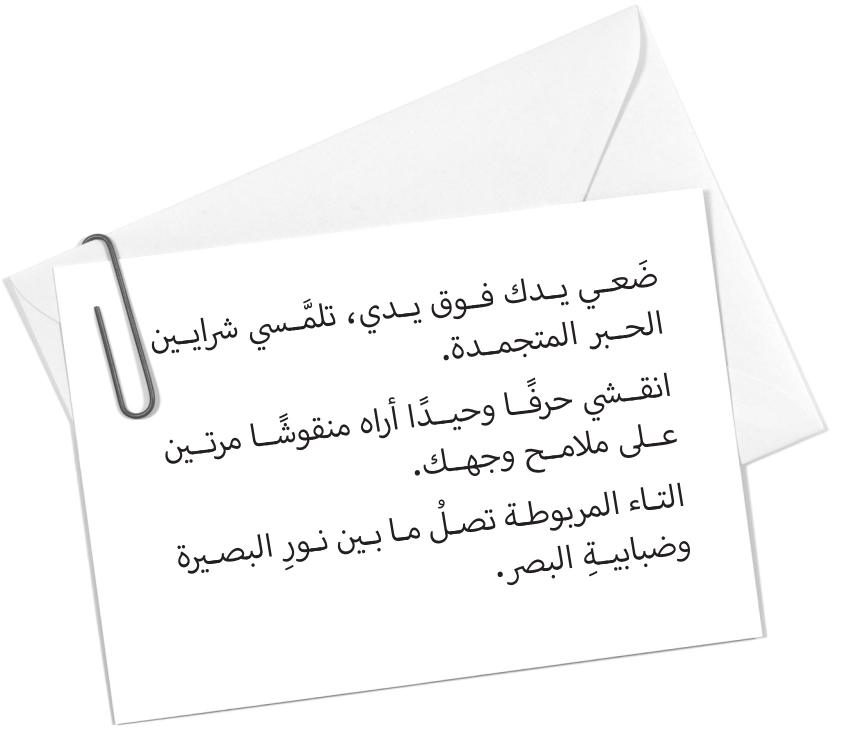
ضَعـي يـدك فـوق يـدي، تلمَّـسي شرايـين
الحـبر المتجمـدة.
انقـشي حرفًـا وحيـدًا أراه منقوشًـا مرتـين
عـلى ملامـح وجهـك.
التـاء المربوطـة تصـلُ مـا بـين نـورِ البصـيرة
وضبابيـةِ البصر.

الرسالة التاسعة عشرة

السَّلامُ على كرامةِ العاشقين، تلك التي تنازلتْ عن عروشِها صاغرةً مُستسلمةً حين لقائها الأول بالحب.

السَّلامُ عليها حين تيقنت أن كبرياءها مرهونٌ بالسعادةِ، وأن السعادةَ مرهونةٌ بوأد نظريات الكبرياء.

السَّلامُ على هؤلاء الذين تنازلوا صاغرين عن حريتهم وكبريائهم لأجل ثويناتٍ من سعادةٍ في القرب من عشقهم.

وإني محتجبٌ.

وإني ضعيفٌ.

وإني مصريٌّ بامتياز.

يا حبيبتي أطلقي سراحَ دموعك الآن، فللدموعِ أوانٌ قد حان وتحتم.

ابـكِي عـلى بـراءةِ الطفولـةِ حـين ألصقناهـا بالحلـم، ورسـمناها عـلى رايـةِ الوطـن الحُـر..

ابـكِي عـلى كل الأناشـيد المُعطـرة بالفطـرة، تلـك التـي خطتهـا السـذاجة عـلى ألسـنتنا المعصوبـة.

اصرخـي في وجـهِ العبـث، تـبرَّئي مـن كل كتـب التاريـخ، مزِّقـي كل الشـهادات الورقيـة للعلامـة المعلنـة عـن كل فشـلٍ سـنوي.

زيِّنـي جـدران المراحيـض بأوسـمةِ الـشرف ونياشـين العـزة البراقـة.

يـا أم القلـبِ... جاهـدي سـويعةً لتختلقـي ابتسـامةً في وجـهِ السـقوط.

نحـن يـا مـلاذي سـعداء دون وطـنٍ، أحـرارٌ في قبضـة القيـد، مختصمـون للحيـاةِ لأنهـا لم تمنحنـا كلمـة الـسر الخفيـة للولـوج إلى دروبهـا.

إيـاكِ اليـوم أن تُنـادي بالثـورة، كفـاكِ منهـا ألمًـا، وكفـاني منهـا انعدامًـا.

اليـوم، واليـوم فقـط.. أنـتِ وأنـا مطالبـان باخـتراع نظـامٍ كـوني جديـدٍ، يختـصر النهايـات، ويتسـكعُ في وديـان الذاتيـة المُغرقـة.

يـا كل مـا تبقـى مـن ذكريـاتِ الانتـماء، يـا كل مـا تشـبث بـه عقـلي حـين قـررتُ فقـدان التاريـخ والذاكـرة، لا تشـفقي عـليَّ

فتخبريني بماهيتي وسابق قناعاتي ونظرتي للحب وعَلاقتي بالأرضِ والسماء، اشفقي عليَّ وأخبريني أني وُلدت يتيم الوطن.

لن أنزعج لو أخبرتني أني تعرضت لهزاتٍ عقليةٍ توهمت أثناءها أني آدمي فيه خيرٌ وله الحق فيه.

دعينا نبحثُ عن جزيرةٍ لم يعترف إنسانٌ قبلنا بوجودها أو جدواها، سنجمعُ منها ومن حولها كل المبهجاتِ لنصنع نعوشنا بأعيننا وننتظر لحظة الميلاد الأبدي الرائق.

دعينا نجتهد لنخرجَ منها لا لنا ولا علينا، فقط نمر عليها بكل ما نمتلك من عاطفةِ الحياد.

يا حبيبة الجنون...

أتوسلُ إليكِ أن تُذَكريني دائمًا أني أحببتك.

أن تجتهدي في دفعي لكتابةِ وصيتي لصغاري بألا يعشقون، وألا ينتمون.

احترفي مهنة النجارين، اصنعي من حسراتِ المقهورين توابيت تحوي أحلامهم، دموعهم وندبات القلوب المشوهة للنبضِ في دخائلهم...

تقمَّصي دورَ إلهٍ واعملي على إقناعِ الحياة بأنهم موتى، وإقناع الموت بأنهم أحياء، وإقناعهم بأنهم عدم.

احرصي على تخليدِ العدم، فلا أحد سواه خالدٌ.

اصنعي حلفًا أبجديًّا مع سكان أمة الحرف، اطلبي منهم حماية الأرض من عبث المتطرفين منهم، امنحيهم قائمةً بالأشقياء الممتهنين للخيال، احمي الحياة من شرورهم بأن تطلبي من كبير أمة الحروفِ أن يحكم على (الحرية- الكرامة- العدل- الانتماء- الوطنية- ..... ومشتقاتهم) بالموت خنقًا دون اجتماعِ الحروفِ لميلاد أو استنساخ المزيد.

يا رفيقة...

ابحثي عني جيدًا في قادمِ الأيام، اعقدي يدكِ بيدي لأني حتمًا سأحاول تعلم السير من جديدٍ، لن أمر ثانيةً بمراحل التأهيل بزحفٍ أو حبو.

لن أحاول استدعاء ذكريات التكون الأولى.

سأولد من جديد، في وطنكِ أنتِ.. أنتِ فقط.

سأتعلم الكتابة مرةً أخرى لأخط أول وثيقة ميلادٍ طوعيةٍ في تاريخ البشر..

سأنقش عليها:

"إني أولد من جديدٍ، اسمي عاشقٌ يجتهدُ...

وُلدت في يوم النهاية الحتمية لكل جميلٍ مفترضٍ.. في شهر خيانة المسلمات... في عام التيقن من الانهيار التام.

محلُّ ميلادي.. على الأوراق وبين ذراعيكِ.

جنسيتي.... فرااااغ".

يا أنا...

ابقِ جواري فإني يتيمُ الوطن.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ ما دامت للقلب هوية.

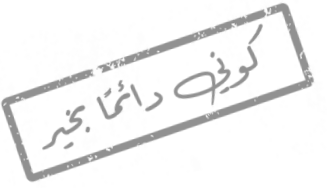

الرسالة العشرون

هي...

كلُّ إبداعٍ تفرَّد بعبقريته.

هـي الموسـيقى الـتي تمتلـك تعريفًـا صريحًـا مُنمقًـا للـروح؛ هـي اللوحـة الإلهيـة المُقدسـة الـتي وهبهـا الـرب لكوكبنـا القبيـح ليقتنـعَ سـاكنوه بـأن الجمـال ليـس لـه حـدودٌ.

الرسالة العشرون

السَّلامُ على منافذ الجمال، على قوالب السُّكر، على التحضر بالرقي، على الإبداع المُجدِّد على إطلاقه.

السَّلامُ على مُعلِّمتي في صفي الدراسي الأول، على رايةِ الوطن المهترئةِ ألوانها بفعل تعاقب الحرارةِ مع المطر.

السَّلامُ على ملخصاتِ الجمال على الأرض وأنتِ منها.

وإني سافرتُ.....

بعيدًا .

أصدقائي يظنون أن بي خللًا لأني لا أنبهر بما أراه.

يظنونني تمرستُ على الاغتراب حتى أمسكت زمام العيون.

وإني في بلادٍ لا تحتوي كي لا أعترف بسيادتها.

أحدُ السعاةِ في عملي انفرد بي قبل السفر وطلبَ مني أن أدعو له ولعيالهِ بينما أحط فوق السَّحاب.

ابتسمتُ لحظتها... ثم تفكرتُ في الأمر ..

هـل يعتقـدُ عـم محمـود أننـي سـأقتربُ مـن السـماء إلى الحـد الـذي يمنحنـي بـركات الخـير الملائكيـة حتـى أحمـل دعواتـه وأمنياتـه؟

رغبـتُ في أن أخـبره بـأن السـماءَ عاكفـةٌ في بيـوتِ الغلابـة والطيبـين، وهـو حتـمًا منهـم.

والعاشقون منهم.

وإني غلبان حين أبتعد عنكِ.

إني فقيرٌ بدونك ...

وإني أفتقرُ إليكِ.

ربما من أجل هذا وذاك طلب مني عم محمود الدعاء.

ودعوتُ له ولعياله، ودعوتُ لكِ ولقلبي.

إنهـا المـرةُ الأولى التـي أزور فيهـا بـلاد الصـين، بـلادٌ جميلـةٌ، ناسـها يحملـون في عقولِهـم وقلوبِهـم معنـى الحضـارة، يمتلكـون حضـارةَ الحـاضر وثقافـة التحـضر والتشـبث بالتاريـخ في واقعهـم.

زرتُ مسـارحَهم ومتاحفَهـم واكتشـفتُ أخـيرًا أن عظمـة التاريـخ ليسـت تُقـاس بأثـره وكـمِّ آثـاره، وإنمـا تكمـن في إيمـان مـن يحملونـه بـه.

وأن التاريخ يُهان فقط عندما يتحول إلى مادةٍ دراسيةٍ، أو واجهةٍ للزينة، أو سلعةٍ تجاريةٍ تُباع لمن لا يعنيه الإيمان بها.

يا رفيقةَ السفر رغم الغياب.

يا صديقة القلب ..

لقد قررتُ أن أتعلم اللغة الصينية، وقررتُ أن أعودَ يومًا ها هنا لأقنع إحداهن بأن تُحبني.

لا تغضبي، لا بد وأن أدرسَ تفاصيل العشقِ المُعبأة بالرقي الناعم.

إنهن جميلاتُ القلب.

وأنتِ جميلة الروح والقلب والعقل، تخيلتك جواري، وتمنيتُك تسعدين بغابات جوانزو على أطراف بحيرتها المحفوفة بالسماء الخضراء، مشهدٌ مقتبسٌ من الجنة دون شك، وأعرفكِ تعشقين السفر، وتحلمين بالجنة.

لا لا لا... لستُ منبهرًا كما تظنين، فقط أعشقُ الجمالَ، والجمالُ ليس مُحتكَرًا في بقعةٍ أو عينٍ..

الجمال يُولد ويتوالدُ، ويبدأ وينتهي، ويمرضُ ويموتُ.

ووطني رغم كل اليأسِ والإحباطِ والدمع الغزير، ورغم اللونِ الأحمر الدَّامي المُحتل لنُضرة الجمالِ الأخضر، فإنه ما زال، وسيظل الخامَ الأوليَّ للجمال في عيني.

وأنتِ يا ملاذي وطنٌ، أنتِ كعبةُ الجمالِ على الأرضِ، وقِبلة الروحِ حين تتضرعُ لأجلِ خلودِه.

أعـرفُ أنـكِ مُنهكـةُ الـرُّوح، وأعـرفُ أن الجـمالَ مُحتَجـبٌ إلى حـين، وأعـرفُ أني بعيـدٌ بعيـدٌ.

وليـس في يـدي منحـةً لـكِ ولا عطيـة، فقـط لـكِ عنـدي عشـقٌ لم أمنحـه لسـواكِ بهـذا القـدر .

وإني عجيبٌ غريبٌ مريبٌ مع الحب.

وقبـل أن أحتضـنَ الغيـابَ، اعلمـي يـا تـاج القلـب أني قـد تخلصـتُ مـن كلِّ شِـعري إلا قليـلًا، همسًـا سـأخبركِ حقيقـة الدافـع...

لمحـتُ منـذ يومـين انحرافًـا لونيًّـا عـلى بعـضِ خُصلاتـه؛ أعـدادٌ قليلـةٌ قـرَّرت الاعتـكافَ والتصـوفَ وارتـداء الجلابيـب والقبَّعـات البيـض.

سوف أعترفُ.... الاكتشافُ كان مُرعبًا وصادمًا لطفولةِ قلبي.

أعـرفُ.. أعـرفُ جـدًّا أن مـا فعلتـه ليـس انتصـارًا.. لكنـي منحتنـي هدنـةً وقتيـةً ضئيلـةً لاسـتيعابِ هزيمتـي وبـدء التأريـخ لمسـتقبلِ شـيخوختي.

أدام الرب عليكِ شبابَ النظرةِ والعشق.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامت للقلبِ هوية.

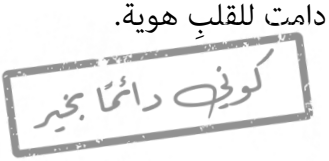

الرسالة
الواحدة والعشرون

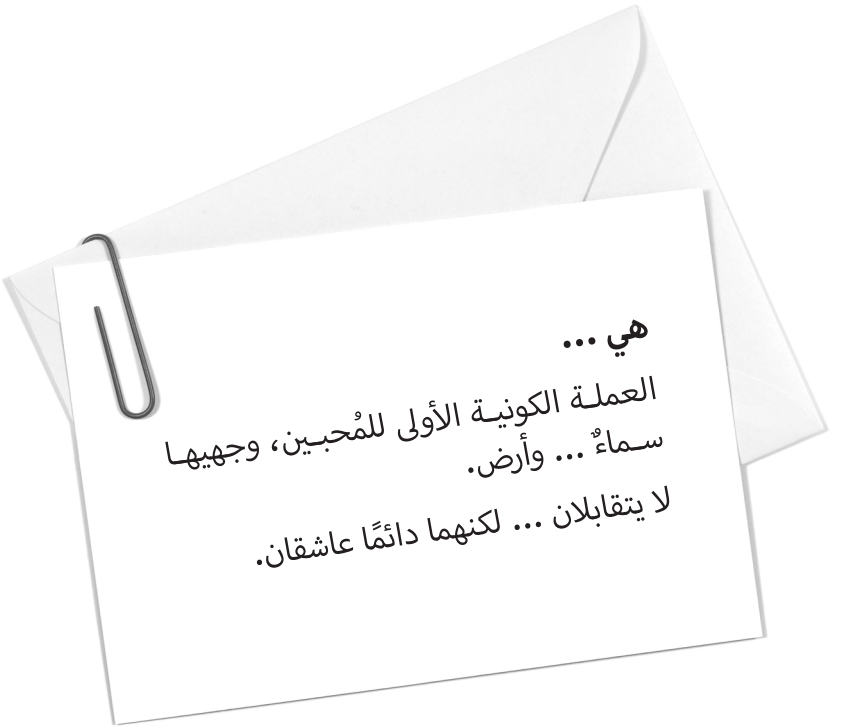
هي ...
العملـة الكونيـة الأولى للمُحبـين، وجهيهـا
سـماءٌ ... وأرض.
لا يتقابلان ... لكنهما دائمًا عاشقان.

الرسالة الواحدة والعشرون

السَّلامُ على صديقِ الدنيا، وبوَّاب الآخرة.

السَّلامُ على المُقاتلِ الأول ضد القُبح على هذا الكوكب.

السَّلام على من وُلد كفيفًا مُتمسكًا بكلِّ ألوان الولوج إلى الحياة، ذلك الذي لم يُحاول يومًا توصيف ألواننا حتى يُلون ظلامَه، يعي جدًّا وجيدًا قيمة مكنون الوعي اللاملوث في ذاكرته.

السَّلامُ على الحُب يومَ وُلد ويوم تمسَّك بالنضالِ لأجل البقاء والخلود.

السَّلامُ على كلِّ مَن آمن به، وتودد إليه، واحتفظ بملامحه من غير تشويهٍ في جوفِ القلب.

وإني يا حبيبتي قرَّرتُ يومًا أن أُلاقي الحب في بلاطِ عرشه، وسط حاشيته وصولجانه.

ارتحلتُ بعيدًا، تعمقت في جوفِ الطبيعة، افترشتُ الارتقاب فوق صخرةٍ ترتفعُ عن الأرض قدر مدِّ أيادينا ، تستقر تمامًا على شاطئ بحرٍ يُصارعُ أمواج الشتاء.

التزم الحضورُ في أماكنهم تمامًا...

"شمسٌ تستعدُّ للرواح مصافحةً قرص القمر، بحرٌ يسعلُ بموجهِ في وجهِ الصخرِ، طيورٌ في طريقِها للهجرةِ الموسميةِ تُحلِّقُ في استرخاءٍ فوق البيانِ، بعضٌ من مطرٍ ينقرُ بعشوائيةٍ لوحةَ الميلاد والموت على صفحاتِ الموج، بعضٌ من أسرابِ السَّحاب تبتسمُ حينًا لِتفُسح مجالًا للدفءِ وتُزمجر حينًا فتصير ضبابًا يمنحُ دربًا للوحشةِ والبرد وظل المطر".

اكتمل أو أُكتمِل نصابُ التجلي... فبدأ اللقاء.

*****

قال..... حدِّثني عن....

حدِّثني عن السماء!

ابتسمتُ بثقةِ المُنتصر قائلًا:

"هي وجهُ الأرضِ أو ظلها، تتأرجحُ ألوانُها ما بين الصفاء والقسوة، زرقاء البسمة، رمادية العداء، تتسعُ لكلِّ الناس بدِفئها وكذلك ببُعدها.

هـي أمُّ الشـمس وجـدة القمـر، هـي النـورُ وهـي العتمـةُ، هـي المجهـولُ حـين نُريـد، والصديـقُ حـين نبغـي.

هي فجرٌ وغروبٌ... موتٌ يليه بعثٌ.

هي كل ما لا تطولهُ أيادينا وتعشقهُ عيوننا وأحلامنا.

واكتفيتُ محتفظًا بابتسامتي.

نظـرتُ إلى عينيْـه المُحدِّقتـين في وجهـي في اتجـاه محيـطٍ لسـتُ فيـه....

ثم ابتسم بدورِه.. وقال:

"رائعةٌ مفرداتُ وصفك.... ولكني....

لكني ظننتُها....

ظننتُهـا سُـكنى العاشـقين، حقـلًا تـزرعُ فيـه الملائكـةُ الأمنيـات لتحصدهـا عيـونُ المتأملـين.

ظننتُهـا فـوق رأسي تمامًـا، تعلـو حـين ترتفـعُ النظـرةُ وتدنـو حينـما أصـادق حصـوات الأرض وعثراتهـا.

ظننتُها قبوًا في استدارةِ بطون الحوامل للنماء وللأمل.

ظننتُهـا بلـونِ العـين ولـونِ القلـب ولـونِ الطيبـة مربوطـة في عنقـود التبايـن.

ظننتُ وجهي مرسومًا بألوانِ البعث وخطوطه على صفحتها.

والألوانُ عندي ليست بأشكالها ولكنها بمعانيها ومذاقها.

فالبعـثُ لـونٌ بطعـمِ الرهبـة، والسـماءُ ملونـةٌ بنكهـةِ الفـراق، والمطـر بطعـم العطـاء.

ظننـتُ السَّـماءَ امـرأةً في تسـعينِها تنظـرُ لأحفادِهـا نظـراتٍ فوقيـةً تُوحـي لرؤوسـهم بالثنـاءِ وبالعقـابِ.

ثم صمت أو اكتفى.....

وجدتُنـي في نهايـةِ حـوارِه بـلا ابتسـامةٍ... فقـررتُ الإمسـاك بالمبـادأة.

بادرته بالسؤالِ...

*****

حدثني عن الدم..

ارتجف قليلًا ثم قال:

"الـدمُ روحٌ بـلا رواحٍ، كهـلٌ بـلا تاريـخٍ، مسـكينٌ يتسـوَّل الـدورانَ كي لا يجـفَّ، مُشـفرٌ برمزيـةِ القـدرِ، مُنهَـكٌ بحُكـمِ الارتجـالِ والارتحـالِ.

أراه مـادًّا يديْـه عـلى مصراعيْهـما ليصـلَ طـرفُ الحيـاة بطـرفِ المـوت، أو كأنـهُ يُصلـح بينهـما حتـى يتعانقـا.

الـدم مـن دون إدراكـهِ خَصْـمٌ للمـوت، ومـن دون إدراكـهِ خصْـمٌ للحيـاة، ومـن دون وعيـهِ خِـلٌّ لـلأول ورفيـقٌ للأخـير.

الـدمُ مجنـونٌ كعقـولِ النسـاء ومجنـونٌ كقلـوبِ الرجـالِ ومجنـونٌ كلـونِ ثيابـهِ ومغـرورٌ ككلِّ حقيقـي وسـط وهـم الفـراغ.

الدمُ يحترمُ الحياةَ إلى حينٍ، والموتَ إلى حين.

يترقـبُ موعـدًا لهجـرٍ معلـوم، فيسـيل فيضًـا في قوافلـه تجـاه فنـاء اللحظـة ليصـبَّ في ميـلادٍ جديـدٍ لموعـدٍ جـديٍ.

ارتجف مرةً ثانيةً ثم ابتسم ثم عاود الكرَّة...

صمت أو اكتفى..

ووجدتُـه يصفـع الهـواء بيـده مشـيرًا لي ومـرددًا: "دورك يـا عاشـق".

فـترددتُ قليـلًا، ثـم نظـرتُ إلى الـدمِ النـازفِ مـن يـدي عـن قصـدٍ منـي، والتحمـت في ملحمـةِ التنـاوب بـين البـصر المُنهَـك بالبديهيـات والبصـيرةِ المُنهكـة بالتأمـلات.

أجبتُه...

"الـدم قريـبُ المـاء، مُحـرمٌ عليهـما الامتـزاج أو الاقـتران، صديـق الهـواءِ يمـوت تجمـدًا عنـد لقائـه، مرهـوبُ الطلـة إلى حـد الفـزع، موسـمي الفـوران أو الجنـون.

الـدم يؤمـنُ بالتجـدد، رافـضٌ للتعدديـة، قابـلٌ للعطـاء، معـروفٌ بـين جنبـات أمـةِ الألـوان بالسـيد السـائدِ، ويعرفونـهُ هُنـاك في أُمـةِ الحـروفِ بالقـزمِ المخاطـرِ الخطـير.

الدمُ شاهدٌ على القتل، تقتلهُ الجراح.

شاهدٌ على النهر، يحذو حذوهُ متجنبًا نضوبَ الحُبِّ حتى لا يحل بمسيرهِ البخر إلى الفناء.

الدمُ ساعةُ العمرِ الزئبقية، تلك التي تعرف عن يقينٍ كيف تسعى عقاربهُ المكورة وراءَ احتضان الموت.

نعم الدمُ يسعى لاحتضانِ الموتِ... لكنه، ليس يسكنُ بالقبور.

ابتسم الحُب...

نظر إلى وجهي في ظل السماء على جبهةِ الرمل، ثم فاجأني مُتسائلًا:

لماذا طلبت التجلي واللقاء؟

هل عرفتني قبلًا؟

فانتبهتُ إلى ضخامة السؤال على قِصر قامته، أجبتهُ مُرتجفًا:

"لقد أبصرتكَ يومًا في منامي، رأيتك، نعم رأيتك، قوسٌ تضم نصفَ السماءِ، تستوعبُ نصفَ البحرِ، تُصادقُ نصفَ النهرِ، تُمَهِّد نصفَ الأرضِ، وتحتسي نصف القلب.

تستوعبُ في انحناءَتكَ نصفَ النجوم ونصف الموج ونصفَ النماء ونصف الجبال ونصف العمر.

رأيتك قوسًا بعينٍ وحيدةٍ ليست ترى، وأُذنًا وحيدةً ليست تسترق السمع، ولسانًا منقوصًا ما إن تحدث حتى اكتفى.

رأيتُكَ مُعَلَقًا على رقبتي تمتطي دقات القلب وتحترف الدمعَ والقلق.

لا لون لك إذ تتلون بلون الناظر والمريد.

رأيتكَ حكيمًا بلا حكمةٍ، متدينًا بلا عقيدةٍ، ملتزمًا بلا تشريع.

تضحك لتجدد الدمع استعدادًا للبكاء.

لمحتُكَ وحيدًا بلا خلٍّ، دون رفيقٍ، ترفض الخلود لتبحث عن أُبهة السعادة على عتبات مخاضٍ جديد.

أحببتُ طلَتك، ولا تتعجب إن قلت إني عشقتُ وداعك.

أنت يا صديقي، الرقيقُ العاصفُ في المُدْخَلَين.

وتوقفت عن الاستطراد مُنتبهًا لاقتراب انتهاء اللقاء..

فبادرته، دعك منك، إنك وإن تعملقَ أثرك فإنك صغير.

حدثني عن الرب!

عانق السماء بسهامِه، ثم أجابني:

"الرب كذلك لا نراه بالعيون يا عاشق.

الـرب فينـا أيهـا الإنـسي البصـير، مسـتقرٌّ بـذراتِ وجودنـا إذ لا تسـتقيم إلا بالتجـلي، وللتجـلي حـدودٌ وعتبـاتٌ.

الـرب سرٌّ يـزدادُ اسـتتارًا مـع مـرور العمـر، نجهلـه كلـما زاد زيـفُ الوعـي وتعملقـت الـذاتُ عـلى ضآلتهـا.

أراهُ في السماء وفي الأرض وفي الموج وفي الدم وفي أعماقي.

وجههُ يُطـل علينـا مـن دخائلنـا، لكنـا لا نُميـزه في العمـوم، لأننـا لا نمتلـك عيونًـا مسـلطةً عـلى أسرارنـا.

اكتفينـا بالنظـر إلى مُحيطنـا ظنًّـا منـا أننـا نُنـير دروبنـا بتعريـةِ سـوانا وطمـس الـروح، فتاهـت منـا أسرارُنـا وعمينـا عـن وجـه الـرب فيهـا.

الربُ هو القُرب حتى السعادة، والبُعد حتى التوبة.

هـو السـكينةُ ريثـما تتنحـى محدوديـة الغـرور عـلى تعملقهـا في لقائهـا بالعظمـة عـلى إطلاقهـا، فيتكـئ الغـرورُ عـلى عـكازٍ بـدويٍّ بـدائيٍّ مـن اخـتراع الحاجـةِ مُهادنًـا مُستسـلمًا مُمتنًـا لكونـهِ لم يكـن يومًـا مُطلقًـا حتـى يشـعر بالراحـةِ وينعـم بالسـلام ويلجـأ دومًـا لمـن لا يخجـل مـن السـجود ومـن البـكاء إليـه.

الـربُ هـو الأمـلُ في الوجـودِ وفي الفنـاءِ، في الحـزنِ وفي الفـرح، في الطمـوحِ وفي الأمـل.

نعبـدهُ في حروفنـا وحديثنـا وتأملنـا وحبنـا، في سـقفِ إدراكنـا وأرضنـا، حينـما نُغمـض عيوننـا في مواجهـةِ نقـاء النـور احتـماءً مـن

النـور، وفي إغـماضِ عيوننـا في معيـةِ العتمـة استنسـاخًا للنـورِ في دخائلنـا لنختـلي بوجهـهِ في محدوديـة إدراكنـا.

ثـم توقـف بغتـةً عـن اسـتطراده، وأهـداني نظـرةً لسـتُ أعـرفُ يقينًـا ترجمتهـا، قائـلًا:

"مهـلًا يـا عاشـق، ألمـحُ في قلبـكَ بصـيرةَ المُحـبِّ المُتأمـل، وفي صوتـكَ تجاعيـد التفكـرِ المحسـوب....

لمـاذا لا تصعـد أعـلى الجبـل الشـاهق، تنظـرُ إلى السـماء حتـى تعشـقك وتعرفهـا، وتتـدارس الشـمس والقمـر والنجـوم والسـحاب وذاتـك حتـى تُـدرك الحـب بسـموِّه، وتهـب روحـك قربانًـا لـلأرض، تهـوي محتضنًـا جاذبيتهـا، فتنـال جائزتـك بحضـور مخـاضِ الـدم فيـك.

لحظتهـا سـتُدرك كيـف الـرب، ربمـا تصـير معرفتـك بجلالـه أكـثر واقعيـةً وإتقانًـا في لحظـةِ الفنـاء.

لحظتهـا سـتجدني بجـوارك، أتـدارس كيـف يخـط الـدم خارطـة النفـس عـلى سـطح الأرض.

ثم صمتَ.....

فصمتٌ.

توقفتْ عيناي عن التحديقِ في عمقِ الفضولِ..

صرختُ فيه:

"مَن أنت؟ هل أعرفك؟".

"أنا لا أعرفك.. أنت لستَ أنت".

أجابني وكأنه الموجُ ضاحكًا:

وربما أنت لست أنت.

أما أنا... فأنت تعرفني جيدًا..

أنا القلم وحبرهُ ودواتُه.. أنا الفكرة في ثوبها المجنون.. أنا شيطانك... ملاكك.. عينك.. أذنك.. أنفك... أنا أنت مُختبئًا تحت مسام الجلد.

أنا عقلك حين تنحسر المدارك والرؤى، وجنونك حين التحرر من قيد الثوابت..

*****

جدالٌ وصراخٌ وضحكاتُ رعب..

دُوارٌ وغيومٌ وموجٌ وريح...

نورٌ وعتمةٌ وضبابيةٌ ملونةٌ...

شمسٌ وطيرٌ ومطرٌ وسربُ سحاب...

أرض وسماء، سماء وأرض..

وما بينهما أنا أستظل بعشق الرب.

*****

وجـدوني يـا مـلاذي مغشـيًّا عـليَّ أسـفل سـطح السـماء مبـاشرةً، فـوق قمـة جبـلٍ شـاهقٍ...

مُبتلًّا بماء المطر....

أسفل عيني تمامًا آثار دماء من غير جُرح.

أحتضن بكلتا يديَّ في حبٍّ صخرةٍ عذراء.

أردد أسـماء الـرب في هـدوءٍ رتيـبٍ، وأسـتعيذ منـي بـين لحظـةٍ وضحاهـا.

هوني عليكِ فإني ما زلت عاشقًا على كل حال.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

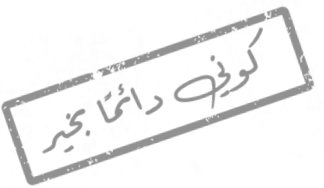

الرسالة
الثانية والعشرون

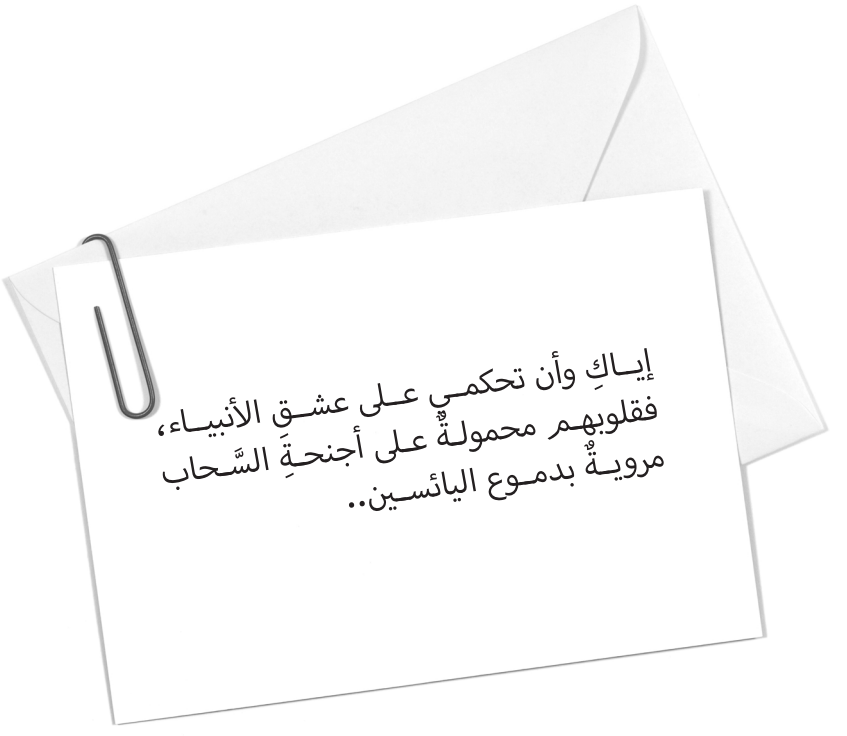
إيـاكِ وأن تحكمـي عـلى عشـقِ الأنبيـاء،
فقلوبهـم محمولـةٌ عـلى أجنحـةِ السَّحاب
مرويـةٌ بدمـوع اليائسـين..

الرسالة الثانية والعشرون

السَّلامُ على فطرةِ الرب التي وهبها عبادَه، فتمردوا عليها حتى أفقدوها سلامها وعذوبتها.

السَّلامُ على السكينةِ حينما تستعمر القلوب، وتستعبد الكراهية، وتجعل من الإنسانية معنًى واقعًا.

السَّلامُ على براءةِ وجهكِ لحظة انبعاثِ النور من رحم الظلامِ مع ميلاد كلِّ صبحٍ، يمنح الكوكب كل مبادرات السلام والأمل.

وإني أخافُ..

من دونكِ أخافُ الملل، فالقلوبُ يا صديقتي يُضعفها الانتظارُ، وتكتئبُ إن طال، وأظنكِ لا تعرفين اكتئابَ القلوب، وأدعو الله ألا تعرفيه.

وفي حضرتـكِ أخـافُ الهجـر، وانقضـاء أجـلِ السـعادة، فالسـعادةُ يـا عزيـزتي محـدودةُ الأجـل، حتميـة الانتهـاء، تمـوتُ في حيـزٍ.. لتُولـد في آخـر ...

أظنهـا شـحيحةَ النَّبـت عـلى الأرض فـلا تكفـي الجميـعَ في كلِّ وقـتٍ، فـكان لزامًـا عـلى الحيـاةِ إعـادة التدويـر.

وإني أخافُ...

أخـشى أن أقتنـعَ يومًـا بالتنـازلِ عنـكِ لقـاء المـرور بقلبـي سـالمًا.. لا لـهُ.. ولا عليـه.

وأخشى أن أحترفَ الخنوع ...

بأن أُحبَّ مَن أحبني... وأنصرفَ عمن أحببتُ... وأكتفي.

سـاعتها سـيصيرُ القلـبُ منتـصرًا في كلِّ الأحـوالِ، سـأهزم الخـوفَ كل ليلـةٍ، فـلا خـوف عـلى قلـبٍ يتـدرَّع بجـدران العقـل.

يا ملاذي...

هـل تفضلـين سـعادةً موقوتـةً محـدودةَ الأجـل ثـم مـن بعدهـا مـوتٌ مُحقـقٌ؟ أم أبديـةً مرهونـةً بجمـود الإرسـال والتلقـي؟..

حـدِّدي جيـدًا قبـل الـرد.. مَـن سـيُجيب عـن تسـاؤلي؟... عقلـك؟ أم قلبك؟..

لا... لا تُجيبيني.. أُشفق عليكِ من فخِّ الاختيار.

بـدأتُ منـذ أيـامٍ في ابتـلاعِ حبـوبِ مكافحـةِ الاكتئـابِ، مكتـوبٌ في وثيقـةِ الـدواءِ الرَّسـمية بـأن الأثـر سـيُولد بعـد أسـبوعين.

انشغلتُ عن اكتئابي بمراقبة مخاض الأثر.

أخبرتني صديقةٌ بأن الاستمرار في تناول العقار يُجمد المشاعر وتتبلد بصحبته الأحاسيسُ، إن صحَّ قولها سأجدني مدفوعًا لأن أعقد اتفاقَ مصالحةٍ وسلامٍ مع كيانِ الاكتئابِ مع تقديم اعتذارٍ صريحٍ للجوئي لوسائل الحربِ الكيميائيةِ...

فقط... حتى أظل عاشقًا.

تلقيتُ رسائلَ كثيرةً تمتدحُ رسائلي وتسألُ عن وجهتها أو بالأحرى كل الرسائل تسألني الإفصاح عن ماهيتك..

أجبتهم بالصمت، لا خجلًا بل عجزًا عن توصيفك كحالةٍ.

تستحقين شرحًا بعيدًا عن تفاصيل البشر المُتفق عليها.

سأسافرُ قريبًا، وأعرفُ أنكِ تعشقين السفر، سأكتبُ لكِ من بلادٍ بعيدةٍ، وسأخبر الطائراتِ بأني بدونكِ مبتورُ الجناح، سوف أبحثُ عنكِ في الذكرياتِ المؤجلةِ، وأتابعُ الحياةَ أملًا في الحياة.

وسأترك هنا وصيَّتي ..

كل الرسائلِ إرثٌ شرعيٌّ لكِ من بعدي.

فإن باتت بين أناملك... فاذكريني بالحب.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ... ما دامت للقلب هوية.

كوني دائمًا بخير

الرسالة
الثالثة والعشرون

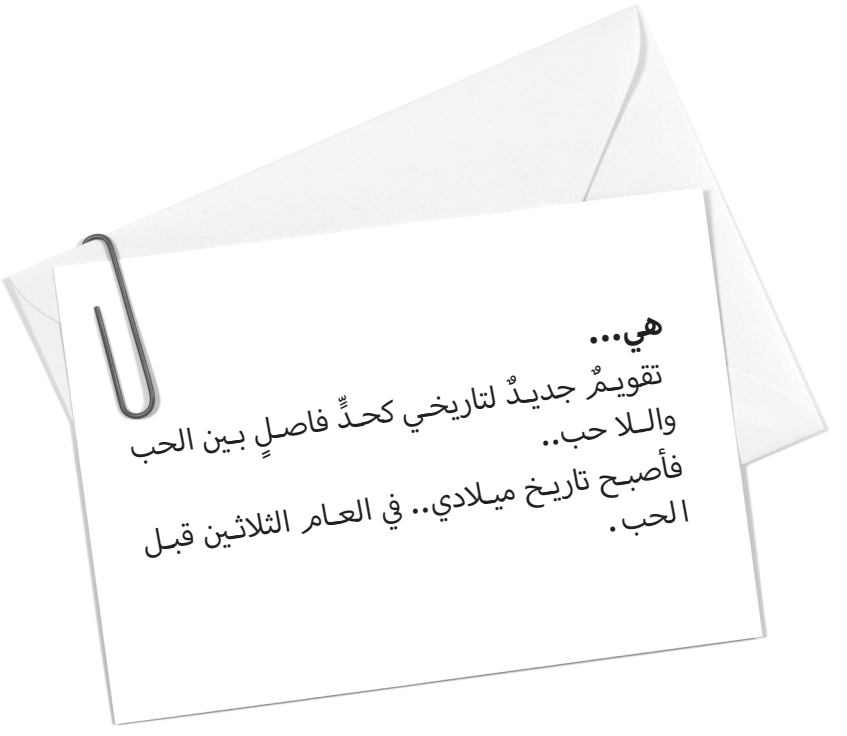
هي...
تقويمٌ جديدٌ لتاريخي كحدٍّ فاصلٍ بين الحب والـلا حب..
فأصبح تاريخ ميلادي.. في العام الثلاثين قبل الحب.

الرسالة الثالثة والعشرون

السلام على الحقيقة...

تلك التي تستحق عناءَ التنقيب والتعقب والتفكر لأجل الاستنتاجِ والاعتقاد، السلام على فعل الاعتراف لأجل التطهر ومواجهة النفس قربانًا للسماوات أملًا في خلود الروح.

السلام على الخطيئة النادمة، تلك التي تتراجع حين يتحتم الفصلُ بين اختلاط الألوان.

السلام على كل الذنوب التي تحملت كراهية مرتكبيها لها، ونظرة الحاملين زورًا لألوية الفضيلة تجاهها، وإلصاقها دومًا بمؤامراتِ الشياطين، وما هي في واقعها إلا نتاجٌ لثقافة البشر، قناعاتهم، ضعفهم الشديد، قوتهم المفرطة، عشقهم خارج سياق التقليدية الجمعية، شعورهم بأن بقاءهم مرهونٌ بإنهاء حياة أحدهم أو إحداهن، رغبتهم في إمتلاك شيء لم يكن يومًا مِلكًا لهم من الأساس، والرغبة في الاستقلال بالفكرة والتطبيق.

السلام على هؤلاء الذين تحرَّروا بحبهم من كل قيودِ المُفترض، واللازم والمضمون.

على هؤلاء الذين تعلموا وآمنوا بأن الحب ليس رباطًا روحانيًّا مخفيًّا بين نوعيْن من جنس البشر وفقط، وإنما فطنوا كذلك بأن الحب ثقافةٌ للعيش، ودستورٌ للتعايش ووطنٌ مُكتملُ البِنية والدواوين، وبأن الحب لا يكتمل نصابُه دون نبذٍ كاملٍ للواقعية وقواعد العقول البشرية البالية.

السلام على الجوع...

ذلك الذي نبَّهنا إلى ضعفنا ووهن تكويننا، وحيوانية نوازعنا، فبات خلود الحب حتميًّا في كتاب تاريخ البشر ليؤصل معنًى أكثر عُمقًا ورقيًّا لمصطلح الآدمية.

وإني أعترفُ...

أكتبُ لكِ الآن مُعترفًا بكل ما اقترفته تحت مظلة الاختلاف والعشق...

لقد تعلمتُ الحب في بلادٍ تظنه مبعثًا على الخجلِ وتدفع من يُصاب بعدواه إلى التواري عن حيِّز مراقبة الآلهة.

ولقد علمونا صغارًا أن الحب مفسدةٌ للرجال، وعُهرٌ للنساء، وأن كلمة عشق بوابة للانحراف، وأن المشاعر لا تخصُّ البشر سوى هؤلاء الذين باعوا دينهم وتعلقوا بأستار الدنيا.

الديـن إذن يرفـضُ العشـق، عـادات الأهـل والأجـداد ترفـض العشـق، مصطلـح الأخـلاق- الـذي أمرنـا الأسـتاذ منتـصر مُـدرس اللغـة العربيـة بتكـراره كتابـةً أكـثر مـن مائـة مـرة في فـرض حصـة القـراءة المنـزلي- يكـره كلمـة عشـق، كلـمات "العيـب والحـرام والمرجلـة" سـيطرت عـلى ثقافـةِ كل منافـذ العـلام في نشـأتي.

لم يكـن مسـموحًا ولا طبيعيًّـا عـلى أيـة حـالٍ أن أهمـس في أذن أمـي مُعـبِّرًا عـن حبـي لهـا أو اشـتياقي حـين غيابهـا.

ولم يكـن مُباحًـا التقـرب مـن الفتيـات بالنظـرة أو حتـى بالهمس الكامـن في الأعماق.

فقط كان الخيال مُباحًا.

فاحترفنـاه بكامـل الامتنـان والتشـبث، وطوَّعنـاه للعبـث مـع الثوابـت، ومناطحـة المُسـلمات، والاختفـاء عـن عيـون الآلهـة التـي تُراقـب محـاصرة الحـب فينـا.

وإني زرعتـكِ في أروقـة الخيـال فـور امتـلاكي لأدوات اصطنـاع قنـاةٍ تخصنـي وحـدي في فضاءاتـه، زرعتـكِ بكامـل تفاصيلـك، وهيئتـكِ، ووجهـكِ، وصوتـكِ.

وأسميتكِ كل الأسماء التي عشقتها صغيرًا:

"شـيكولاته، مصاصـة، بـوزو، حـلاوة، جبنـة نسـتو، طنـط مديحـة" زوجـة عمـي التـي لم تكـن تُنجـب أطفـالًا فكانـت تمـلأ

وجهـي جيئـةً وذهابًـا بالقُبـلات وجسـدي بالأحضـان، وفمـي بساندويتشـات اللحمـة.

وإني الآن أعترفُ...

لقـد طـال غيابـكِ ولم تتجلي لـكي أبـدأ في جنـي اسـتثمار السـنين انتظـارًا لبـدء العشـق المُتخَيـل والمُبتغى.

فقـررتُ صغـيرًا أن أحـاربَ الجميـع، وأن أصـادق الحـب رغـمًا عـن أنـفِ الجميـع، وأن أبـدأ رحلـة أعلـم أنهـا سـتطول في التنقيـب عنـكِ.

اصطنعـتُ منـكِ رمـزًا عالميًّـا للعشـق، وألبسـت كل فتيـات الدنيـا قناعًـا نورانيًّـا يحمـل تفاصيـل قسـمات وجهـكِ.

وإني أعترفُ...

لقـد انتقمـتُ مـن الجميـع لأنتصرَ للحـب، فعشـقتُ العـشرات مـن ورائهـن العـشرات لأنتقـم مـن مبـدأ الحجـب والحرمـان، وربمـا لأنتقـم منـكِ أنـتِ، لأنـكِ لم تـأتِي في موعـدك الكـوني المحـدد.

وربمـا ثـأرتُ للحـب مـن المجتمـع كلـه، بـأن أكشـف النقـاب عـن احتيـاج الجميـع للحـب رغـم الاختبـاء وراء مذاهـب مَـن يُعـادون الجهـر بـه.

لسـتُ أدري حتـى تاريـخ كتابـة هـذه الكلـمات، كيـف تتكـون اللـذة بتـلازم فعـل الحـب مـع الهجـر، ثـم معـاودة الحـب مـع الهجـر، ثـم معـاودة الأمـر عـشرات بـل مئـات وربمـا آلاف المـرات؟

هـل أُصِبـت بهـوسٍ عقـلي يدفعنـي لقتـل الحـب الـذي احتجب عـن عالمـي الصغـير، هـل أردتُ أن أصرخ في وجـه العـالم إني عاشـقٌ مُتحقـقٌ، وأن الحـب يأتينـي صاغـرًا لألفظـه بعيـدًا بـكل ألـوان الاسـتغناء والزهـد.

هـل تظنينـي مريضًـا إذ عمـدتُ إلى دفعهـن صـوب الحـب دون أن ينتبـه قلبـي لإحداهـن مـن الأسـاس؟ هـل تمتعـت بكـمٍّ مـن الأنانيـة تكفـي لأن يتخـذ العشـق الخـام قـراره بالإعـراض عـما تبقـى لي مـن نبـض قلـب؟

هـل سـيأتي اليـوم الـذي تصطـفُّ فيـه كل تجـارب المـاضي لمحاكمتـي عـلى مـا اقترفتـه مـن مجـازر في حـق وحدانيـة العشـق؟

سوف أصدُقكِ القول يا حبيبة الخيال الأول..

لم أنـدم حتـى هـذه اللحظـة، يتملكنـي يقـينٌ بـأن مـا أسـماه حُـراس الفضائـل بالخطيئـة- إن صـح التعبـير عنهـا- فهـي تُقتسـم عـلى أطرافهـا اقتسـامًا، ربمـا لبعـض الاسـتثناءات لا تكـون القسـمة مناصفـة، لكنـي لسـتُ مُقتنعًـا عـلى كل حـالٍ أن أكـون المُخطـئ الأوحـد في محـاولات إحيـاء الحـب، أو حتـى الانتقـام منـه.

وليـس منطقيًـا كذلـك أن نعتقـدَ بـأن عـلى أرضنـا شـياطين تُراود الملائكـة عـن مشـاعرها لتجنـي لحظـاتٍ مـن العشـق المُصفـى، كُلنـا بـشر، كلنـا نحتـاج إلى اقتنـاص نصيبنـا مـن الحـب في الحيـاة، كلنـا ضعفـاء أمـام الحاجـة والاحتيـاج، كُلنـا نتغنـى بالفضيلـة- فقـط- حينـما نُطِـل عـلى الخطايـا مـن بعيـد.

وإني أعترفُ....

حـب النسـاء عنـدي أقـل ألـوان الحـب رُقيًّـا وخلـودًا وخلـوًّا مـن شُـبهة الغريـزة الباليـة.

وإني أعترفُ...

حبك عندي... ليس كحب النساء.

فأنـتِ خـام الحـب الأوليُّ، لحظـة ميـلاده الأول مشـمولٌ بعطـر الجنـة، قبـل أن يرانـا ونـراه، وقبـل أن نقتحمـه لنسـميه ونطوعـه ونمنحـه فناءنـا ومحدوديـة اعتقادنـا.

أنـتِ السـتائر المُقدسـة التـي تطهـرت أمـام عتباتهـا مـن كل شـوائب تاريخـي.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

الرسالة
الرابعة والعشرون

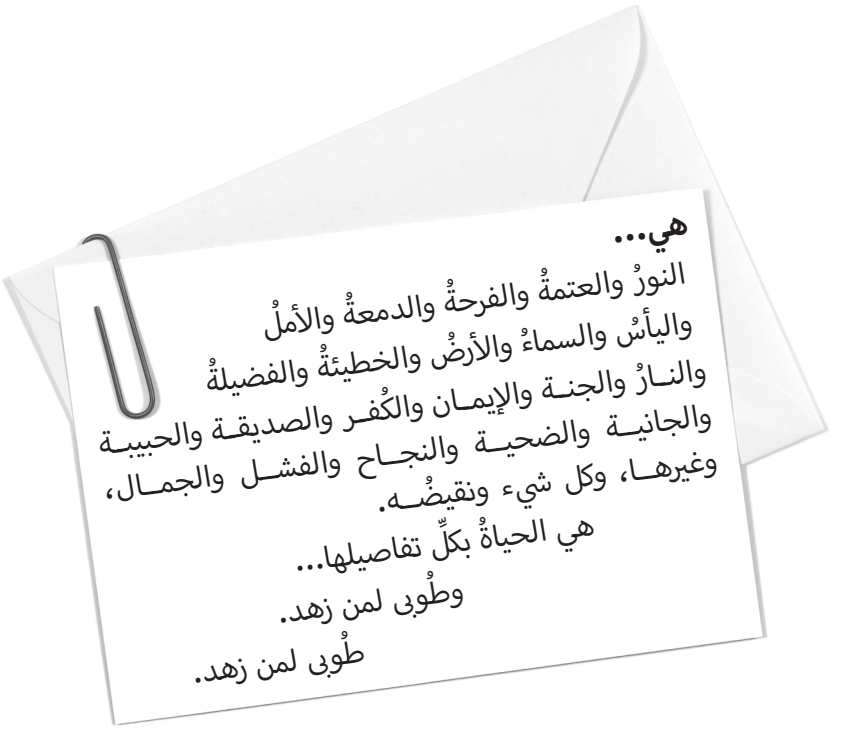

هي...

النورُ والعتمةُ والفرحةُ والدمعةُ والأملُ
واليأسُ والسماءُ والأرضُ والخطيئةُ والفضيلةُ
والنـارُ والجنـة والإيمـان والكُفـر والصديقـة والحبيبـة
والجانيــة والضحيــة والنجــاح والفشــل والجمــال،
وغيرهــا، وكل شيء ونقيضُــه.
هي الحياةُ بكلِّ تفاصيلها...
وطُوبى لمن زهد.
طُوبى لمن زهد.

الرسالة الرابعة والعشرون

السَّلامُ على مَلك الحب في السماوات، يتنزلُ على القلوبِ العذارى ليمنحها دفءَ الأمل وفرحة استنفار النبض ودقاته حين يحين الحين للقاء العشق الأول، ويهبط على القلوب المُقيدَة بالانتظارِ والتمني ليهبها السكينةَ والقدرة على تطويع مستقبلِ نبضها.

السَّلامُ عليه حين يمد أياديه حانيةً على فعلِ الضعف مع الهجر، وفعل الصبر مع الفراق، وفعل القوةِ مع انتصار الحب، وفعل طبيبِ الإفاقة مع فعل الوهمِ وخيبة الرجاء.

السَّلامُ عليه يوم يُولد القلب ويوم يموتُ.

وإني باعثٌ إليكِ برسالتي من خلاله، فإني فارقتُ الحياة منذ سويعاتٍ قليلةٍ، ووجدتني ها هنا دونك، بحثتُ كثيرًا كثيرًا عن وسيلةٍ متعارفٍ عليها للكتابة إليكِ فلم أجد، فكل شيءٍ ها

هنا يحتاجُ للوقت الكثير لأتعلمه، إني هنا رضيعٌ حديثُ العهد بحياةِ المُنتقلين.

لم أستطع تبني فكرة الانتظار حتى أتعلم دروبَ التواصل مع من فارقهم القلب موتًا، أو لأقل غيابًا وامتهانًا لوعيٍ وإدراكٍ جديدٍ، بكيتُ كثيرًا لأني ما زلتُ أتذكر كيف كان وداعُنا عند باب القبر، قالوا لي هنا إن العاشقين سيئو الحظ، ذلك لأن القلب يحملُ ذاكرةً لا يمحوها الموتُ، وويلٌ لعاشقٍ لا يستطيع كبح ذاكرة قلبه.

الويل الويل لي، لا أستطيع، ولن أستطيع نسيان مشهد دمعةٍ سقطت من خدكِ عامدةً متعمدةً لتسكن فوق قلبي مباشرةً، ما زلتُ أشعرُ بسخونتها ومذاقِها وكأنها ترياقٌ سماوي يمنحُ القلب ثوينةً من حياةٍ لينبض ثم يُعاود موته.

أخبريني بالله عليكِ، من ذا الذي أوحى إليكِ بأن تهمسي في أذن قلبي في لحظاته الأخيرةِ تحت الشمسِ، كيف عرفتِ ما لم أعرفه إلا بعد انتقالي ها هنا بأن القلبَ يسمعُ وإن توقف نبضُه، وإن القلب يعشقُ بعقلٍ منفصلٍ عن عقولِ الناس الساكنة قبابهم...

وإني هنا أردد كلماتكِ الأخيرةَ على مسامع كلِّ مَن جاءني احتفاءً وتهنئةً بميلادي الجديد، لا... لستُ أذكر كل كلماتك، فقط أُخبرهم بأن حبيبتي همستْ لقلبي الميت بأنها ستأتيني بعد قليل.

لقد ضحك كلُّ من استمع لحكايتي ساخرًا، إلا أن أحدهم لم يُفصح عن سببِ ضحكاته الساخرة، لا عليكِ، فإني أنتظرك على كلِّ حال.

أعرفُ جيدًا أنكِ الآن تتألمين، وأعرفُ أنكِ الآن تحملين بين أناملكِ كل الوريقات التي كتبتها لأجلك، وكل الصور التي رسمتها لنا آلاتُ التصوير وأرَّخت لعشقنا عبر كل سنين الإدراك والتذكر.

وأعرفُ أن الحياة عندكِ قاسيةٌ عنيفةٌ.... مهلًا!!!، هل كتبت الآن كلمة "عندكِ"؟

أتُراني قد تجنست بجنسيةِ الموتى، في عالمي الجديدِ، واقتلعت كل الذكريات الفائتة بعيدًا عن مُتناول قلبي؟...

كل هذا لا يعنيني، فقط يعنيني أني ما زلتُ أعشقكِ، ويعنيني كذلك بأن حكاياتنا ورسائلي إليكِ ترددت على ألسنة الكائنات ها هنا حتى سمع بها ملاكُ الحب، فتنزَّل على حيزي عارضًا عليَّ قيامه بدور الرسول لإيصالِ رسالتي الأخيرة إليكِ حتى يقر قلبكِ ولا يحزن، إلى أن أتعلم دروبًا مغايرةً للتواصلِ الذهني معكِ، وربما من بينها أن أتعلم كيف أراكِ وأُنبئكِ رسائلي في منامك.

ملاكُ الحب يُنبئني بأن الرسالة هذه المرة لن تكون مكتوبةً، ولن يمدني بأدواتٍ أطبع بها الحروفَ على أوراقٍ أو قبسٍ من جلود، الملاك المُنير يطلبُ إليَّ فقط أن أتحدث إليكِ

بصوتٍ لا يسمعه كائنٌ مَن كان، حتى هو لا يرغب في سماعِ رسالتي، فقط أتلفظ بها قلبيًّا، وسيتعهد بها لتصلَ إلى قلبكِ في نفسِ اللحظةِ، إنها تكنولوجيا مُعقدةٌ وجديدةٌ على مسمعكِ، أعلم هذا، وأعرفُ كذلك بأنكِ وبكلِّ تأكيدٍ لم تتدربي قبلًا على فكِّ شفرةِ دقاتِ القلب، لا بد وأن تُدركي بأن الرسالة ستأتيكِ محمولةً على دقاتِ قلبك، وبأن فك طلاسمها مرهونٌ بمدى صدقِ عشقك الكامنِ، اعلمي جيدًا أنكِ قادرةٌ على التواصلِ والاتصالِ.

"يا صديقتي وحبيبتي وملاذ قلبي، يا أول من أحببتُ وآخر مَن عشقتُ وكل كتاب التأريخ لمشاعري، يا شباك النور وبوابة الأملِ....

صرنا أبعد بكثيرٍ من أي وقتٍ مضى، وأقرب بكثيرٍ من أي وقتٍ مضى، لم يعد معي ها هنا أية ذكرياتٍ لإحداهن سواكِ، ذلك لأن القلب لا يحملُ في طيات عقله ذكرى من لم ينبض صادقًا بحبها.

وإنكِ أنتِ هي، أنتِ ولا سواكِ.

انقلي عني لأبنائي بأني احترفتُ العشقَ حتى أقنعتكِ بحبي، وإني احترفتُ تقدير الجمال فحاولتُ إخراجه للناسِ محمولًا على عاتقِ الكلمات، وإني خاطبتُ كلَّ قلبٍ عاشقٍ فكتبتُ لكِ رسائلي.

قـولي عنـي مـا لم يُسـعفني العمـرُ لإكمالـه، أخـبري مَـن يهتـم بكلـماتي بـأن الحيـاة أقـل شـأنًا بكثـيرٍ مـما ظنناهـا، وأقـل عمـرًا بكثيرٍ مـما عددناهـا، وبـأن الكلـمات أفقـر وسـائل الدنيـا للتواصـل، وأن الكتابـة وإن برعـتُ وأبدعـتُ ونمَّقـتُ فإنهـا لا تُناطـح النظـرةَ الحانيـةَ، ولا اللمسـة الصادقـةَ، ولا نبـض القلـبِ العاشـق بحـق.

أخـبري عنـي بـأن الحيـاة حلـمٌ وضيـعٌ، لا يمكـث إلا سـاعةً وضُحاهـا، ولا يبقـى مـن أثـرهِ فيـما تـلاه إلا قلـبٌ أحـب.

أوصيـكِ خـيرًا بالـورود والـزروع فـإني وجدتهـا هنـا تتذكـر مَـن أنبتهـا ورعاهـا، وأوصيـكِ خـيرًا بالقلـوبِ اليتيمـة، تلـك التـي فقـدت حبًّـا يسـتحيلُ لأن يكـون يومًـا غرائزيًّـا، فـإني وجـدتُ أصحابَهـا هنـا في أعـلى عليـين.

أوصيـكِ- يـا حبيبتـي- خـيرًا بالجـمالِ أينـما كان، تشـبَّعي بتفحصـه أينـما حـلَّ وحيثـما وُجـد، فإنـه يُرافـق ذاكـرة القلـب هنـا بقـدرِ مـا عهدتيـه وتعهـدتِ بـه.

امنحـي ملابـسي القديمـة لفقـيرٍ، وبقايـا علـب سـجائري "لعـم رفعـت البـواب"، وقلمـي الـذي اعتـدتُ التباهـي بـه في حفـلاتِ الكتابـة والتوقيـع إلى طفـلٍ عنـد رأس الشـارع يُسـاعد أبـاه في بقالتـه ويسـتذكر درسـه في أوقـاتِ فـراغِ البيـع والـشراء، وضعـي هاتفـي المحمـول في صنـدوقٍ زجاجـي مُحكـمِ الإقفـال وألقيـه في اليـمِّ ليجـدَه أحدُهـم فيطَّلـع عـلى مـا أخفيـتُ مـن صـوري التـي التقطتُهـا في لحظـاتِ اختـلائي بـذاتي، وسـيارتي... أبقِـي عليهـا حتـى

تتناساني فإن بيننا شبه عشقٍ قديم، وأعيدي نشرَ كُتبي بإهداءٍ واحدٍ جديد:

"إلى الدنيا الواهمةِ الموهومةِ، تستحقين الكلمات إهداءً.. فقط لأنها أكثر منكِ وهمًا، إذ إن لغة الخلود ليست هكذا تُصاغ.

إلى البشر.. كل البشر، اكرهوا قليلًا، افرحوا قليلًا، احزنوا قليلًا، تناحروا قليلًا، تعلموا قليلًا، اعملوا قليلًا، اكتبوا قليلًا، اقرأوا قليلًا، تناسلوا قليلًا، تفكروا قليلًا، تعبَّدوا قليلًا..... واعشقوا كثيرًا كثيرًا..

فإن تماديتم في الحبِّ كان كل ما سبق من تلقائه كثيرًا كثيرًا.

إلى المُراد الذي ذهب، أينما حللت فإنك عائدٌ بعددٍ لا نهائي من دوراتِ التبديل والانتقال، فحينما يحين ميقاتُ الميلاد الجديد... اعلم بأنك تركتَ يومًا ها هنا أثرًا، ولو كان زائلًا بلا أبديةٍ أو خلودٍ...".

واجمعي يا حبيبتي كل ما كتبتُ في كيسٍ جلديٍّ سميكٍ، واكتبي عليه: "لأجل من كان عاشقًا للحب"، وأودعيه كهفًا صغيرًا في الجانبِ الشرقي من جبلِ الطور بأرضِ سيناء، مُميزًا بصخورٍ بيضاء على حافةِ فوهته.

ابنـي لي قـبرًا جديـدًا في نفـس البقعـة التـي تنزلت فيهـا دمعاتكِ الأخـيرة عـلى قلبـي، فـإني هـا هنا أُبعـث مولـودًا مـن جديد.

هكـذا رسـمتُ لـكِ في مخيلتـي رسـالتي الأولى بعـد الرحيـلِ، وتركـتُ لمَلَـك العشـق المتـبرع مهمـة زرعهـا فـوق نبـض قلبـك الحزيـن، تمهيـدًا لأن تنطبـعَ كلـماتُ رسـالتي مُترجمـةً في قسـماتِ إدراكِ بعـد فـك تشـفيرها بصـدقِ العِشـق والتذكـر.

وعـادني مـلاكي بعـد ثوينـة... بملمـحٍ غاضـبٍ ونـورٍ حزيـنٍ، يُقنعنـي بـأن أُقلـع عـن الرغبـةِ في مراسـلة المـاضي، وأن أتفـرغ لمـا ينتظـرني مـن واقـعٍ جديـد.

مـن غـير معانـاةٍ تفهمـت وازعَ طلبـهِ الغريـبِ.... رسـالتي رُدَّت إليَّ لكونهـا لم تجـد نبضًـا لقلـبٍ يتذكـرني.

ربما انتقلتِ لنتعانقَ..... وربما انتقل قلبكِ ليُعانق آخر....

إني أنتظر.....

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامت للقلب هوية.

حبيبتي ك

كل الرسائل إرثٌ شرعيٌّ
لكِ من بعدي.
فإن باتت بين أناملكِ...
فاذكريني بالحب

عن الكاتب

مراد ماهر

- مواليد : 1979
- بكالوريوس هندسة عام 2001 .
- عضو نقابة المهندسين
- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو أتيليه القاهرة
- عضو نادي القصة
- مدير ورشة الحواديت للكتابة السردية

صدر له :

- مجموعة قصصية بعنوان (سلك شايك) عام 2008 عن دار أكتب للنشر .
- حواديت قصصية شعرية بالعامية المصرية بعنوان (حواديت عيل موكوس) مقروء ومرفق بنسخة الكتاب أسطوانة صوتية من إلقاء الكاتب مصحوبة بالموسيقى التصويرية تأليف الموسيقار د. أحمد الحناوي.. 2010 عن مؤسسة شمس للنشر والتوزيع .

- نصوص قصصية (ثورة الغضب ... صنع في مصر) مارس 2011 عن دار أكتب للنشر .
- اشترك ببعض النصوص مع مجموعة من الأدباء في كتاب (مائة كاتب وروائي في مئوية نجيب محفوظ) ديسمبر 2011 تحت رعاية مجموعة من دور النشر والحركات الأدبية المستقلة .
- مبارزة قصصية (لست نبيًا) عام 2016 عن دار شهرزاد للنشر.
- متوالية قصصية (أولياء كاذبون) 2017 عن دار تويا للنشر.
- رواية حق اللاعودة عام 2014 عن دار النيل العربية .
- كتب القصة والسيناريو والحوار للفيلم الروائي القصير (ورد القرافة) .. مايو 2009 .
- نُشر له العديد من الأعمال الأدبية والمقالات والحوارات الصحفية في العديد من الصحف المستقلة والحكومية والمواقع الالكترونية (المصري اليوم – الأهرام – اليوم السابع – الأخبار – روزاليوسف- وشوشة- الجمهورية – مجلة حياتي - .....) .

له تحت الطبع :

- رواية (أكاديمية الشحاتة الأنيقة).
- رواية (رواية سالب حياة)
- الجزء الثاني من (حواديت عيل موكوس)

الفهرس

الرسالة الأولى 7
الرسالة الثانية 17
الرسالة الثالثة 25
الرسالة الرابعة 33
الرسالة الخامسة 39
الرسالة السادسة 45
الرسالة السابعة 51
الرسالة الثامنة 59
الرسالة التاسعة 67
الرسالة العشرة 75
الرسالة الحادية عشرة 83
الرسالة الثانية عشر 91
الرسالة الثالثة عشر 99
الرسالة الرابعة عشر 105
الرسالة الخامسة عشر 111
الرسالة السادسة عشر 119
الرسالة السابعة عشر 125

الرسالة الثامنة عشر 131
الرسالة التاسعة عشر 137
الرسالة العشرون 145
الرسالة الواحدة والعشرون 151
الرسالة الثانية والعشرون 165
الرسالة الثالثة والعشرون 171
الرسالة الرابعة والعشرون 179

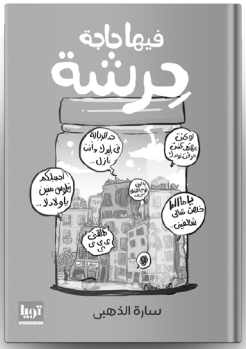

النبض صفر
"أنا الموجود فوق الأرض.. وأنا من يحيا تحتها"
رواية
عبدالرحمن جنويش
تويا

بيضة مان
فلسفة التحول
كيرلس بهجت
تويا

فيها حاجة حرشة
سارة الذهبي
تويا

مجيد طوبيا
الهؤلاء
رواية
تويا

... رواية ...
الطبعة الثالثة
تغريدة عشق
هالة البشبيشي
تويا

ايهاب مصطفى
اسمها زينب
قصص
تويا

أيالو
حقل الأحلام
مصطفى يوسف

علاقات خطرة
د. محمد طه
تويا

رواية
الطريق إلى
السيدة العجوز
محمد آدم
تويا

مجموعة قصصية
مُراد مَاهِر
أولياءُ كاذبون

منتصر امين
رواية
شتاء أخير

أحمد عويضة
زهرة الشيخ
عشق

رواية
امرأة
بطعم
التوت
حلا المطري

رواية
بنت نبي
محمود حافظ

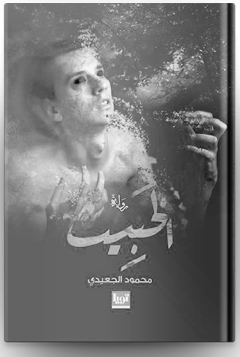

رواية
الحبيب
محمود الجعيدي

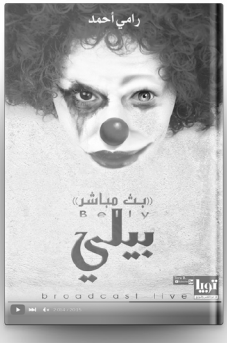

رامي أحمد
«بث مباشر»
Belly
بيلي
broadcast live

وقت جيد للتحليق
مجموعة قصصية
بيتر ماهر

أحمد عاطف
الحياة على
سطح البطيخ

تويا

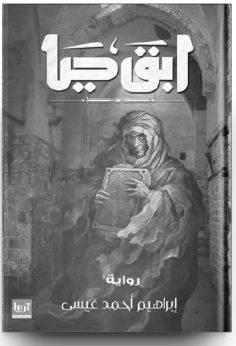

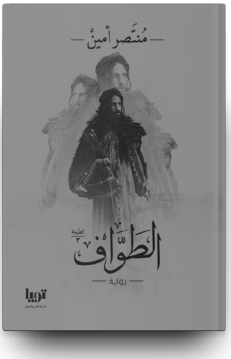

دار تويا للنشر والتوزيع